Sana'a University Journal of Human Sciences مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 4 | Page 589 – 628 |2025 | https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

The Interpretation of the Quran through the Quran and its Impact on the Coherence of the Text Semantically as Presented in "Adwa al-Bayan fi Iydah al-Quran bil-Quran" by Al-Shanqiti

Tawfik Hefdhallah Saleh Hasan[1,*]

[1]Department of Arabic Language Faculty of languages- Sana'a University, Sana'a, Yemen.

***Corresponding author:** *tawfeeqhasan2030@gmail.com*

Keywords

1. Semantic coherence
2. discourse
3. overall structure
4. semantic relationships

Abstract:

This research aims to demonstrate the semantic coherence in Al-Shanqiti's interpretation, which is characterized by his commentary. It also aims to highlight the criteria and textual tools used by Al-Shanqiti through the text and to demonstrate the semantic function of these features.

The importance of this research lies in the fact that the commentary of "Adwa' al-Bayan" is characterized by multiple textual features and relationships that indicate the consistency of the commentary's structure and the harmony of its visions. This commentary focused on the coherence of the Quranic text, using the Quran to interpret itself.

The research is based on a main problem, which is: What is the impact of interpreting the Quran with the Quran on the semantic coherence of the text through the book "Adwa' al-Bayan fi Idah al-Quran bil-Quran" by Al-Shanqiti*?*

The research follows a descriptive analytical approach, monitoring textual facts and approaching their linguistic relationships based on semantic relationships. The research reached several conclusions, including*:*

1 .The research confirms Al-Shanqiti's interest in the semantic level.

2. The research reveals Al-Shanqiti's attention to showing the aspects of coherence in the same topic and multiple contexts, determining the type of discourse, and the factor that explains the meaning of the Quranic word, its suitability, and the reason for its choice to suit the context.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 4 | Page 590 – 628 | 2025
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

تفسير القرآن بالقرآن وأثره في تماسك النص دلاليًا من خلال كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي

توفيق حفظ الله صالح حسن [1]*،

[1]قسم اللغة العربية ، كلية اللغات – جامعة صنعاء ، صنعاء ، اليمن.

***المؤلف:** tawfeeqhasan2030@gmail.com*

الكلمات المفتاحية

1. التماسك الدلالي
2. الخطاب
3. البنية الكلية
4. *العلاقات الدلالية*

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان التماسك الدلالي في تفسير الشنقيطي الذي يزخر به تفسيره، وإلى إبراز المعايير والأدوات النصية التي استعملها الشنقيطي من خلال النص، وإلى بيان الوظيفة الدلالية لهذه السمات.

تتمثل أهمية هذا البحث في كون تفسير أضواء البيان يزخر بسمات وعلاقات نصية متعددة تشير في مجملها إلى تناسق بنية التفسير، وانسجام رؤاه، وهذا التفسير اهتم بتماسك النص القرآني بعضه ببعض مستعملًا للبيان في ذلك، وتفسير أضواء البيان بحاجة ماسة إلى دراسة تبين كيف تماسك النص التفسيري، وما الوسائل النصية التي أدت إلى تماسكه الدلالي؟

اعتمد البحث على إشكالية رئيسة، وهي: ما أثر تفسير القرآن بالقرآن في تماسك النص دلاليًا من خلال كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي؟

وسار البحث على منهج وصفي تحليلي قام على رصد الوقائع النصية، ومقاربة روابطها اللسانية بالاستناد إلى العلاقات الدلالية، وبهذا توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– يؤكد البحث اهتمام الشنقيطي بالمستوى الدلالي.

– كشف البحث عناية الشنقيطي بإظهار وجوه التماسك في الموضوع الواحد والسياقات المتعددة، وتحديد نوع الخطاب، والكفيل في بيان مدلول الكلمة القرآنية، ومناسبتها، وسر اختيارها حتى تناسب السياق.

المقدمة:

شهدت الدراسات اللغوية ثورةً معرفيةً، وتطورات هائلة في العقدين الأخيرين من القرن الماضي مست مختلف مستويات التحليل اللساني، وخرجت من حدود الجملة إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء دراسة النص. ومن خلال هذا الفضاء تحوّل اللسانيون من التعامل مع الجملة على أنها بنية مستقلة إلى معالجة الكيان اللغوي الأوسع وهو النص، واتجهوا نحو الاهتمام به، واتخاذه موضوعًا للدراسة، فتناولوه بالوصف، والتحليل، وبحثوا علاقته بالاتصال اللغوي وأثره في علاقات النص الداخلية والخارجية.

وهذا الاتجاه فتح مجالًا واسعًا أمام الدارسين العرب؛ لاستكشاف التراث العربي الإسلامي، واتجهت بعض الدراسات للنص القرآني مزودة بالمعطيات المعاصرة. ومن هذا المنطلق جاء هذه البحث؛ ليسهم في إثراء هذا المجال، ووسم بـ(تفسير القرآن بالقرآن وأثره في تماسك النص دلاليًا من خلال كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي).

والتماسك النصي من الاتجاهات الحديثة في دراسة النصوص اللغوية، وقد تبلورت ماهيته وأسسه في الربع الأخير من القرن المنصرم على أيدي كل من: (هاليداي) و(رقية حسن)، و(فان ديك)، و(روبرت دي بوجراند) و(دريسلر)، ومن تبعهم في هذا المجال، والبحث الذي بين أيدينا يحاول تطبيق أسس النص بين التراث العربي والغرب، ويكشف عن وظيفة هذا الاتجاه الجديد من حيث الدلالة النصية.

منهجية البحث وإجراءاته

ارتضى الباحث لبحثه منهجًا وصفيًا يقوم على التحليل ورصد الوقائع النصية الدلالية، ولغرض تمكين البحث من تحقيق أهدافه العلمية وغايته البحثية والإلمام بشعاب المتن المدروس، هيأ الباحث تصميمًا منهجيًا يقوم على هيكلة موضوعه إلى: **تمهيد، وثلاثة مباحث؛ لأنه الأنسب لإجراء هذا البحث.**

التمهيد، وفيه:

- نبذة عن تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

كتاب أضواء البيان هو: كتاب في تفسير القرآن، وقد اعتمد المؤلف – رحمه الله– في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن مع أنه لم يقتصر على ذلك بل إن التفسير حافل بالجوانب اللغوية: النحوية والصرفية والدلالية والبلاغية التي ساعدت المفسر في كشف أوجه البيان وتناوله أقرب ما يكون إلى التناول البنيوي في الغالب وما يحيل عليه هذا التناول من دلالة على الأحكام الفقهية[1]، وهو يصرح بهذا فيقول: "وأعلم أنَّ من أهم المقصود بتأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن.

ثانيهما: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المُبَيَّنَة في هذا الكتاب... وترجيح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل معين؛ لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله؛ لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومعلوم أن الحق حق

(1) آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية ص115.

ولو كان قائله حقيرًا"[2]، فهذا الجانب "المضموني يتضح في منهج الكاتب نفسه الذي أوضح منهجه الذي سيتبعه في تفسير القرآن وهو منهج علمي- بحسب رأيه هذا في بداية الكتاب- لأنه يبدأ بالجانب الوصفي وصولًا إلى النتائج"[3].

- منهج الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

انتهج الشنقيطي في تفسير القرآن منهجًا سديدًا أوضح معالمه في مقدمته الفريدة؛ إذ يقوم على الأصول الآتية:

1- تفسير القرآن بالقرآن:

يعتمد الشنقيطي – رحمه الله- في تفسير القرآن بالقرآن على عدة أساليب فقد ذكر – رحمه الله – في المقدمة ما يربو على عشرين نوعًا من إيضاح القرآن بالقرآن منها:

- **الإحالة القرآنية:** وهي إيضاح وبيان آية بآية أخرى؛ لتزداد وضوحًا أكثر مما كانت الآية بمفردها، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:140]. قال: فهذه الآية ازداد بيانها ووضوحها بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 68][4].

- **مفهوم المخالفة القرآنية:** يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13]، قال: يفهم من مفهوم المخالفة القرآنية بأن المتواضع لله جل وعلا يرفعه الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83][5].

- **بيان الإجمال:** وهو ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجيح لواحد منها على غيره[6]، وبيان الإجمال على أقسام سيأتي ذكره.

- **ومن أنواع البيان:** أن يذكر شيئًا في موضع ثم يقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، فذكر الشنقيطي أن الله لم يبين هنا ما المراد بالعالمين، ولكنه وقع سؤال عنهم وجواب في موضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ* قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: 23 و24] سؤال فرعون هذا – لعنه الله- وإن كان في الأصل عن الرب جل وعلا فقد دخل في الجواب عن المراد بالعالمين[7].

وما ذُكر سابقًا هي نماذج لمنهج المؤلف في هذا الأصل ومع ذلك هي من صميم البحث.

2- منهجه في إيراد مسائل اللغة وعلومها:

اعتنى الشنقيطي في تفسيره باللغة، فضمن تفسيره تحقيقات لغوية، قال – رحمه الله-: "قد تضمن هذا الكتاب أمورًا زائدة على ذلك – أي: على بيان القرآن بالقرآن، وبيان الأحكام الفقهية- كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب

(2) أضواء البيان 1/ 35.
(3) آليات تحليل الخطاب ص 115 و116.
(4) انظر: مختصر البيان في توضيح منهج تفسير أضواء البيان ص9.
(5) انظر: مختصر البيان ص 10.
(6) انظر: أضواء البيان 1/ 59.
(7) انظر: أضواء البيان 1/ 44.

والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل والأصول والكلام على أسانيد الأحاديث"[8].

فما يتعلق بعلم الصرف – الاشتقاق– فقد اهتم به في توضيح بعض الكلمات القرآنية مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: 58] قال الشنقيطي: "أي ملجأ يلجؤون إليه فيعتصمون به من ذلك العذاب المجعول له الموعد وهو اسم مكان من: وأل يئل ووؤلا: بمعنى لجأ"[9].

وتوقف الشنقيطي في تفسيره عند المسائل النحوية كثيرًا؛ لأنها تساعده على بيان دلالة القرآن الكريم ومعانيه واكتفى بما اتفق عليه أو ما ترجح عنده أو ما اشتهر به من أقوال النحويين من أمثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]، ولا يخفى أن "هذه الواو محتملة الاستئناف فيكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7] مبتدأ وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾: خبر ومحتملة أن تكون عاطفة فيكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ معطوفا على لفظ الجلالة"[10]، وكون الواو استئنافية أقرب بدلالة السياق.

وقد تقرر عند الشنقيطي في القصر: أن تقديم المعمول من صيغ الحصر فذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24] أنها تشبيه ونوع التشبيه في الآية مركب؛ لأن وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء وهو كون كل من المشبه والمشبه به يمكث ما شاء الله وهو في إقبال وكمال ثم عما قليل يضمحل ويزول[11].

– التماسك الدلالي

مفهوم التماسك الدلالي:

لغة: ورد التماسك في تراث ومعاجم العربية مقابلًا للتفكك، أي: بمعنى الترابط التام والشدة والصلابة فقد ورد في أساس البلاغة: "أمسك الحبل وغيره وأمسك بالشيء ومسك وتَمَسَّك واستمسك وامتسك و ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: 37] وأمسكت عليه ماله: حبسه وأمسك عن الأمر: كف عنه وأمسكت واستمسكت وتماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها وغشيني أمرٌ مقلق فتماسكت وفلان يتفكك ولا يتماسك وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك وحفر في مسكة من الأرض: في الصلابة"[12].

وفي لسان العرب: "مادة (مسك) أمسك الشيء حبسه والمسكة من البئر: الصلبة التي لا تحتاج إلى طي ومعناه: رصف باطن البئر بالحجر إذا كان غير متماسك؛ لئلا يهوى ويتآكل وهو القياس؛ لأنه متماسك والمسك: الإهاب؛ لأنه يمسك فيه الشيء إذا جعل سقاء ويقال: بيننا ماسكة رحم ورجل مسيك؛ أي: بخيل يمسك ما في يديه لا يعطيه لأحد"[13].

(8) أضواء البيان 9/1.
(9) مختصر البيان ص39.
(10) مختصر البيان ص40.
(11) انظر: أضواء البيان 2/ 565.
(12) أساس البلاغة 2/ 214.
(13) لسان العرب 10/ 488 و489.

وعلى هذا سائر المعاجم العربية، فلفظ التماسك فيها يتوجه إلى الدلالة على الاحتباس والاعتدال والصلابة والمتانة وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

أما تعريف التماسك الدلالي في الاصطلاح:فهو مصطلح مترجم عن الكلمة الإنجليزية (*Cohesion*) وقد وقع في ترجمته بعض من الاختلاف كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية مترجمة إلى العربية؛ فيترجمه (محمد خطابي) إلى الاتساق[14] في حين يترجمه (تمام حسان) إلى السبك[15]، وتترجمه (إلهام أبو غزالة) و(علي خليل حمد) إلى التضام[16] وأيضًا ترجمه (عمر عطاري) إلى الترابط[17]، أما (عبد القادر قنيني) فترجمه إلى الالتئام[18]، وأما (أحمد عفيفي) ينقله مترجمًا إلى ثلاثة مصطلحات معطوفة بـ(أو) الدالة على التنويع هي: السبك أو الربط أو التضام ومع ذلك ينقل مصطلحًا آخر هو (*Coherence*) إلى الحبك أو التماسك أو الانسجام أو الاتساق[19] إلا أن الغلبة لاستعمال مصطلحي التماسك والانسجام في الدراسات النصية فهذا (صبحي الفقي) ترجم هذا المصطلح إلى (*Cohesion*) التماسك الشكلي وترجم مصطلح (*Coherence*) إلى التماسك الدلالي أو المعنوي[20].

وقد عرف (أحمد عفيفي) التماسك الدلالي بقوله: "هو علاقة معنوية بين عنصرين في النص وعنصر آخر يكون ضروريًا؛ لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية فإذا كانت الجملة تشير إلى حقيقة بمجموعة من الكلمات؛ فإن توالي الجمل سوف يشير إلى مجموعة من الحقائق وعلى نحو النص أن يكشف عن العلاقات المعنوية بين مجموع هذه الحقائق هذه العلامات المعنوية تأتي غالبًا عن طريق الأدوات في ظاهر النص"[21].

- أهمية التماسك:

يعد التماسك من أبرز خصائص النص حيث لا يقوم النص إلا به فقد أجمع علماء اللسانيات النصية على اعتبار التماسك أساسًا في صياغة النص وبنائه غير أن فريقًا منهم اختصروا التماسك في الجانب الأسلوبي والدلالي متجاوزين الارتكاز على المميز النحوي في حين ينتج لنا الواقع اللغوي مظاهر اتساق لا تخلو من الأثر النحوي[22]، فهو أهم شيء بالنسبة للتحليل النصي ومن ثمَّ عده بعض الباحثين شرطًا ضروريًا وكافيًا للتعرف على ما هو نص وعلى ما ليس بنص.

وذكر الفقي أن أهمية التماسك النصي تتلخص في الآتي [23]:

- التركيز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي.
- إعداد روابط تماسك المصدر الوحيد للنصية.
- التعرف على ما هو نص وما هو غير ذلك.
- الربط بين الجمل المتباعدة زمنيًا.

(14) انظر: لسانيات النص ص5 و6.
(15) انظر: النص والخطاب والإجراء ص103.
(16) انظر: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودريسلر ص11.
(17) انظر: الخطاب والمترجم ص332.
(18) انظر: النص والسياق ص197.
(19) انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ص90.
(20) انظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق 1/ 96.
(21) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ص 98 و99.
(22) أثر النحو في تماسك النص ص 54.
(23) انظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ص 100.

المبحث الأول: موضوع الخطاب/ البنية الكلية

مفهوم موضوع الخطاب/ البنية الكلية:

يعد موضوع الخطاب مركزًا أساسيًا تدور حوله الأقوال التخاطبية التي تستمد منه عملية الامتداد عبر النص كاملًا، وقد عرَّفه (هاينه من *Hannah men*)، و(ديتر فيهفجر *Dieter Phihiphger*) بأنه: "الفكرة الأساسية في نصٍ ما التي تضم المعلومات الجوهرية المحددة لمضمون النص بأكمله، والبنية بشكل مركز ومجرد"[24].

فهذا المفهوم يشير إلى أن النص يتكون من بنيات صغرى وكبرى تضم موضوعات مختلفة، لكن الخيط الذي يربطها هو الفكرة المحورية التي يكون استنباطها من ربط جزئيات الخطاب بعضها ببعض، وهذه الفكرة هي التي تعمل على انسجام النص وتماسكه؛ إذ تدور كلُّ الأحداث الرئيسة والفرعية في النص حولها، أما ما ذهب إليه (محمد خطابي) من أن البنية الكلية: "إنما هي مفهوم مجرد (حدسي) تتجلى به كلية الخطاب ووحدته"[25]، فهذا غير صحيح؛ لأن البنية الكلية مفهوم مجرد تتجلى فيه وحدة الخطاب وليست مفهومًا حدسيًا.

فاستنتاج المتلقي للبنية الكلية للنص لا يقوم على الحدس والتخمين بل يخضع لقواعد إجرائية دقيقة يعينه على ذلك العلاقات بين بنيات النص الصغرى والكبرى كما يؤدي السياق وظيفة مهمة في الوصول إلى هذه البنية، ويرى (خطابي) أن المقصود بموضوع الخطاب في القرآن: "بنية دلالية تصب فيها مجموعة من الآيات بتضافر مستمر عبر متواليات قد تطول أو تقصر بحسب ما يتطلبه من إيجاز أو إطناب أو شرح أو تمطيط"[26].

وقد أشار (فان ديك *Van Dijke*) إلى وظيفة البنية الكلية بأنها: "تختزل موضوع الخطاب، وتصنف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل"[27].

ويمكن استخلاص موضوع الخطاب عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخصه[28].

وقد كان المفسرون على وعي تام بموضوع الخطاب وإن لم يشيروا إليه بهذه الصيغة لكن تحليلاتهم تكشف عن وجود المفهوم في أذهانهم حيث كانوا يشيرون إلى التغير والانتقال بين موضوعات السورة وقد استعمل الشنقيطي في تفسيره مصطلحيَّ (الإجمال والبيان) للدلالة على ما يمكن أن نطلق عليه البنية الكلية للتفسير فعلى أساس ذلك المقصود يجري ربطه وبيان التماسك والتناسب بين بنى التفسير وقد جعل ذلك المصطلح محورًا في بيانه للتماسك بين أجزاء التفسير ويعمد الشنقيطي إلى بيان البنية الكلية في علاقاتها بأمرين هما: عنوان الخطاب وموضوعه وهو التفسير على نحو ما سنبينه.

أ-عنوان الخطاب:

العنوان عتبة مهمة في مقاربة النصوص وتفكيكها من أجل بنائها من جديد؛ لذلك فهو يمدنا "بزاد ثمين؛ لتفكيك النص ودراسته"[29]، وهو بؤرة النص وتيمته الكبرى التي يتمحور حولها وما النص إلا تكملة للعنوان وشرحًا له بالتوسع فيه دلاليًا ومعجميًا في

(24) مدخل إلى علم لغة النص ص43.
(25) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص46.
(26) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص180.
(27) النص والسياق ص185.
(28) انظر: لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب ص277.
(29) دينامية النص ص72.

صيغ بنائية مختلفة فهو نواة معنوية أساسية وكل ما جاء بعده من ملفوظ شرح وتوضيح له، فالعنوان يشكل خطابًا أو نصًا مستقلًا في حد ذاته في حين يعد من "أهم الوسائل التي تحقق انسجام النص ومقروئيته الدلالية والفنية والجمالية والوظيفية"(30)؛ لأنه يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه ووجود العنوان المناسب للمتن يسهل سرعة الفهم وتذكر موضوع الخطاب؛ لأن العنوان هو نص، وبما أنه كذلك، فقد امتلك شرط النصية فالعنوان أول ما يظهر للقارئ؛ لأنه يتجلى أول تحديد لنصية العنوان.

أما علاقة العنوان بالمتن ونصوصه فهي علاقة شرح وتفسير؛ فالعنوان يتجه إلى متنه محققًا أداءه الوظيفي في توجيه قراءة النص، وفي هذه الحالة فإن عنوان العمل يتعالق مع المتن، بوصفه كلًا تمثله سياقات عديدة: كالعنوان الداخلي، ثم السياقات الداخلية لبنية النص، فعبر العنوان يمكن تفكيك النص إلى بنياته الصغرى والكبرى، نحوًا، ودلالةً، وتداولًا(31).

فهذه العلاقة علاقة تكاملية؛ لأن نصّ العنوان مكثّف مخبوء في دلالاته بما يحمله النص المطوّل بشكل موحٍ إشاري مكثّف(32)، وقد تتبلور علاقة العنوان بنصه في العلاقة الشكلية والعلاقة الدلالية؛ فمستوى الشكل يتمثل في جملة ما يذره العنوان من بنيته اللفظية في سياقات المتن النصي سواء أكانت تلك السياقات متصلة بالعناوين الداخلية أم ببنية النص، بحيث يتحقق بين هذه السياقات وبين العنوان صلة ما لفظية أما حينما يكرر ذاته في سياقة النص، فإنه لم يقف على تحقيق دلالة أحادية، بل دلالات متعددة في ظل الواحد الذي هو الفكرة المركزية أو المضمون العام للنص؛ إذ تتعدد الدلالة في السياق.

ويعبر العنوان عن المعلومات الأساسية التي ترتبط بها معلومات أخرى سترد في النص وإذا كان موضوع النص يُعرف من العنوان؛ فإن على المتلقي أن يستنبط موضوع النص الضمني من النص ذاته بالاشتمال على عوامل موقفية(33).

ب-موضوع الخطاب/ التفسير:

هنا يبرز سؤال مفاده: هل عنوان التفسير موضوع الخطاب أم العنوان في جانب، والخطاب في جانب آخر؟

تعد أكثر عناوين المؤلفات رموزًا، وأسماء تشير إلى قضية أو قضايا وردت في المؤلف/ الكتاب، أما عنوان تفسير أضواء البيان فهو يعبر عن موضوعه الكلي؛ إذ يعالج موضوعات أغلبها تفسير القرآن بالقرآن، وإذا لم يوجد بيان كافٍ من القرآن؛ فإنه يتجاوز إلى أن يفسر القرآن بالسنة، وأحيانًا بأقوال الصحابة والتابعين، وإذا لم يوجد بيان لا من القرآن ولا من السنة أحيانًا يخرج إلى اللغة العربية في شرح وتوضيح الألفاظ والتراكيب ومن ثم يُعد العنوان جزءًا من موضوع التفسير الكلي.

موضوع الخطاب/ البنية الكلية في تفسير أضواء البيان:

إن حديثنا عن البنية الكلية في تفسير أضواء البيان ما هو إلا حديث عن: المناسبة بين متن التفسير وعنوانه وبين موضوعات النص، والإجمال والبيان.

(30) محاضرات في لسانيات النص ص 120.

(31) انظر: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ص 106.

(32) انظر: قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر ص 74.

(33) انظر: مدخل إلى علم لغة النص ص 46.

الأول: المناسبة

تعريف المناسبة:

في اللغة هي: "اتصال شيء بشيء"(34) و"المقاربة والمشاكلة"(35).

فالمناسبة في اللغة تعني الاتصال، والمقاربة والمماثلة بالشيء ومنه يقال: إن فلانًا يناسب فلانًا أي: يقاربه ويشاكله والنسيب القريب المتصل.

وفي الاصطلاح تعني: "بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة التي في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة أو بين السورة والسورة"(36).

فالمناسبة تبحث عن الارتباط بين الآية وما بعدها وما قبلها وبين السورة وما بعدها وما قبلها.

أهمية المناسبة:

للمناسبة أهمية كبيرة يمكن بيانها كالآتي(37):

أ- إن فهم التناسب يجعل الكلام آخذًا بعضه بأعناق بعض؛ ليصبح كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء؛ وبه يعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم.

ب- دفع إيهام الاختلاف عن الآيات الكريمات، فقد يظن بعضهم أن الآيات نزلت في أوقات متباعدة في موضوعات متعددة فلا رابط بينها فهذا الترابط بين الآيات والسور لون من ألوان البيان المعجز على الرغم من تباعد الزمان واختلاف الموضوعات.

ج- إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ للوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهي أن القرآن الكريم كلام الله المنزل وليس من تأليف البشر تصديقًا لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

د- للمناسبة دلالة لغوية قوية في التعرف على المراد من الآيات، ورفع اللبس عن مقاصدها، ومرجّح قوي من مرجحات بعض المعاني على بعض عند تزاحمها سواء منها ما جاء في آيات الأحكام أم آيات القصص القرآني أم آيات الوعظ والتوجيه وغيرها.

ويشترط السيوطي لتحقيق المناسبة "ضرورة وجود معنى رابط بين المتناسبين بمعنى أن مرجع المناسبة في الآيات يرجع إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"(38).

-المناسبة بين متن التفسير وعنوانه:

يرتبط عنوان التفسير بموضوعه ارتباطًا وثيقًا فهناك مقصدية بين التفسير واسمه وقد كان اختيار (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) عنوانًا لهذا التفسير. فالمحور الأساسي أو موضوع الخطاب (البنية الكلية) الذي يبرزه التفسير هو: الإجمال والبيان والمناسبة بين موضوعات الخطاب وأن القرآن يفسر بعضه بعضًا من خلال قواعد أصولية وفقهية ولغوية، وهنا يبرز ارتباط تسمية التفسير بمحوره الأساسي ومن خلال ذلك تم التماسك بين اسم التفسير وما دعا إليه فكان العنوان منسجمًا مع مضمون التفسير كاملًا، حيث كان دليلًا على موضوع التفسير الكلي وفي اختياره تنبيه للمتلقي إلى هذا الموضوع كما أن فيه تعضيدًا

(34) مقاييس اللغة 5/ 423، 424.

(35) القاموس المحيط 1/ 130 و131.

(36) مباحث في علوم القرآن ص 97.

(37) انظر: المناسبة وأثرها في تفسير القرآن (بحث) ص6.

(38) الإتقان في علوم القرآن 2/ 108 و109.

للبنية الكلية للتفسير الذي يتمثل في مقصد التفسير وعنوانه ومن ثمَّ يظهر لنا تحديد موضوع النص/ التفسير تابع للفهم الكلي الذي استنبطه المتلقي من النص وهذا الفهم يعمل بشكل حاسم على تحديد مقصدية المرسل الذي فهمه المتلقي ومن ثمَّ يعد مقصد المرسل التواصلي الذي هدف إليه في نصه نقطة ارتكاز أساسية للوصول إلى بنيته الكلية.

– المناسبة بين موضوعات خطاب تفسير أضواء البيان:

إن أصل الإعجاز القرآني المجمع عليه هو الإعجاز البياني[39] ومنه تناسب كل كلمة في موضعها من القرآن الكريم، فقد ذكر الجرجاني في بيان عجز العرب أنهم: "تأملوه سورة سورة وعشرًا عشرًا وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو مكانها ولفظة يُذكر شأنها أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى أو أخلق"[40]، فالقرآن الكريم "لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[41]، فالناظر في آيات القرآن يجد ذلك التلاحم والترابط في الآيات بل كل كلمة في الآية إنما رتبت لغاية ووضعت لتؤدي معنى وهدفًا فلا تنافر ولا انفصام ولا تشتيت للمعنى فالآية لها سباق ولها لحاق فإذا نزعت الآية من السياق دلت على حقيقة علمية ثابتة وقد اهتم الشنقيطي في تفسيره بهذا النوع من الروابط النصية المتمثلة بالمناسبة من جميع صورها ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

أ– مناسبة الكلمة القرآنية للسياق:

سار العلماء في بيان مناسبة الكلمة القرآنية لما سيقت فيه، فقد نقل الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 209] أنه "روي أن قارئًا قرأ (غفور رحيم) فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه"[42]، ويقصد بقوله: إغراء عليه؛ أي: إغراء على الزلل فيتغير المعنى من التحذير إلى الإغراء.

وهذا العالم ابن بَري ذكر في مسائله التي نثرها أن "قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] إن قيل: إنما تذكر الكنية للتعظيم وهذا في محل تحقير فالجواب من وجهين: الأول: أنه كان عبد العزى والله سبحانه لم يرض بذلك. والثاني: أن المراد به النار فكأنه قال: أبو النار مشبهه بما يؤول إليه فتكون النهاية في الحقارة"[43].

وقد تعرض الشنقيطي لبيان مناسبة الكلمة القرآنية لما سيقت فيه وإن لم يكن هذا الاعتناء ظاهرًا جليًا في تفسيره؛ لأنها ليست مقصودة من التأليف تصريحًا وإنما ضمني ومن أمثلته:

وضح الشنقيطي بيان مناسبة الكلمة القرآنية فقد أشار في تفسيره إلى الحكمة من الاعتراض بقوله تعالى على لسان أوليائه: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ في قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191] فقوله عنهم: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: تنزيهًا لك أن تكون خلقت هذا الخلق باطلًا لا لحكمة تكليف

(39) انظر: البيان في إعجاز القرآن ص 133.
(40) دلائل الإعجاز ص49.
(41) المحرر الوجيز 1/ 52.
(42) الكشاف 1/ 280.
(43) مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني ص24.

وبعث وحساب وجزاء[44] فسياق الآية يتضمن دعوى كاذبة تشدق بها الدهريون وهي أنه لا بعث ولا جزاء إنما الموت هو نهاية كل حي فناسب الاعتراض بما يتضمن بطلان هذه الدعوى وتقديس الخالق جل وعلا عنها مما جعل نسق الآية متماسكًا.

ويبرر (الشنقيطي) مناسبة كلمتين فيها لما سيقت فيه وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]؛ لأنه قال: سبحان والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان منامًا لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه ويؤيده قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17]؛ لأن البصر من آلات الذات لا الروح، وقوله هنا: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: 1]"[45]، مما يدل على أن الإسراء كان بالروح والجسد. وكذلك التعبير بلفظ العبد في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها؛ إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبر به في هذا المقام العظيم، الذي اخترق العبد فيه السبع الطباق، ورأى من آيات ربه الكبرى[46]، فذكر هاتين الكلمتين وهما (سبحان) و(بعبده) للمناسبة.

– ويبين الشنقيطي مناسبة الكلمة القرآنية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: 4].

فذكر أن قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 3]، قد أدراه هنا بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5]، وهذا حال من أحوال يوم القيامة[47]، فإن كل حالة يذكر معها الحال الذي يناسبها، فالقارعة من القرع وهو الضرب، ناسب أن يذكر معها ما يوهن قوى الإنسان إلى ضعف الفراش المبثوث، ويفكك ترابط الجبال إلى هباء العهن المنفوش فذكْرُ لفظة (المبثوث) ناسبت سياق الآية وكذلك لفظة (المنفوش) مما جعل النص متماسكًا.

ب– مناسبة الفاصلة القرآنية للسياق:

الفاصلة القرآنية: "هي آخر الآية كقافية الشعر وسجعه"[48]، وإن العلاقة بين الفاصلة والآية التي تضمنتها وثيقة متينة[49]، وقد اهتم كثير من المفسرين ببيان مناسبة الفاصلة للآية حتى أشار بعضهم إلى أن بعض الفواصل لا تأتي إلا بسياق مخصوص منهم الزركشي فقد ضبط السياق الذي تختمه فاصلة قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 76] حيث قال: "والمناسبة فيه قوية؛ لأن من دل عدوه على عورة نفسه وأعطاه سلاحه ليقتله به فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل فلهذا ختمها بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وهذه الفاصلة لا تقع إلا في سياق إنكار فعل غير مناسب في العقل نحو قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]؛ لأن فاعل غير المناسب ليس بعاقل"[50].

(44) انظر: أضواء البيان 7/ 395.
(45) أضواء البيان 3/ 467.
(46) انظر: أضواء البيان 3/ 474.
(47) انظر: أضواء البيان 8/ 266.
(48) الفاصلة القرآنية ص 29.
(49) انظر: الفاصلة القرآنية ص 29.
(50) البرهان في علوم القرآن 1/ 83.

وقد وضح الشنقيطي مناسبة الفاصلة القرآنية للسياق في تفسيره وسيكتفي الباحث بذكر بعض تلك الشواهد على النحو الآتي:

قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154] ذكر الشنقيطي أن مجيء قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بعد قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به[51] فمناسبة الفاصلة للسياق حققت تماسكًا نصيًا لفظيًا ومعنويًا.

واستدل الشنقيطي بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18] على "أن بني آدم لا يقدرون على إحصاء نعم الله؛ لكثرتها عليهم، وأتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18]، فدل ذلك على تقصير بني آدم في شكر تلك النعم"[52] مما جعل النص متماسكًا من حيث اللفظ والمعنى.

وتحدث عن قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59] فبعد ذكره للآية قال: "فتأمل قوله: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:59] بعد قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾، تعلم أن من وصف الرحمن بالاستواء على العرش خبير بالرحمن وبصفاته لا يخفى عليه اللائق من الصفات وغير اللائق، فالذي نبأنا بأنه استوى على عرشه هو العليم الخبير الذي هو الرحمن"[53]، فالله ذكر صفة الاستواء في كتابه فهي صفة خبرية أخبرنا الله عنها فكانت الفاصلة مناسبة لسياق الآية مما جعلتها متماسكة؛ لأن الله هو الذي أخبر بها.

وقد تبين من الشواهد السابقة أن الفاصلة القرآنية كان لها وظيفة فعالة في تماسك النص التفسيري من جانبي اللفظ والمعنى ولم يغفل الشنقيطي ذلك.

ج- مناسبة الآية للآية:

تحدث الشنقيطي في تفسيره على مناسبة الآية في سياقها العام والخاص فلكل آية سياق فالشنقيطي تحدث عن مناسبة الآية للآية في السياق وقد ربط بين سياق الآية وأختها بالمناسبة ومن ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 87- 88].

ربط الشنقيطي بين هاتين الآيتين فقال: "لما بين تعالى أنه آتى النبي - صلى الله عليه وسلم - السبع المثاني والقرآن العظيم، وذلك أكبر نصيب، وأعظم حظ عند الله تعالى، نهاه أن يمد عينيه إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع به الكفار؛ لأن من أعطاه ربه - جل وعلا - النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيب الأحقر الأخس، ولا سيما إذا كان صاحبه إنما أعطيه؛ لأجل الفتنة والاختبار"[54].

وتبين مما سبق أن السياق في الآية الأولى سياق تشريف والسياق في الآية الأخرى سياق تكليف ونهي وبينهما علاقة وطيدة؛ إذ إن التشريف في مقام العبودية يحمل في طياته زيادة في التكليف، فالمناسبة في الآيتين كان لها أثر في تحقيق التماسك النصي.

(51) أضواء البيان 1/ 104 و7 / 627.
(52) أضواء البيان 3/ 308.
(53) أضواء البيان 7/ 499.
(54) أضواء البيان 3/ 237.

وفي قصة جلاء بني النضير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر:3] فذكر (الشنقيطي) أن الله بين علة هذا العقاب بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 4]، وقد يوجد بعض من شاق الله ورسوله، ولم يعذب بمثل العذاب الذي عُذب به بنو النضير، مع الاشتراك في العلة التي هي مشاقة الله ورسوله فدل ذلك على أن تخلف الحكم عن العلة في بعض الصور تخصيص للعلة لا نقض لها[55].

فقد أوضح الشنقيطي أن سياق الآية الأولى في بيان العقاب الذي حل ببني النضير وسياق الآية الأخرى في سبب وقوع العقاب فتقدم بيان العقوبة على سبب وقوعه؛ ليظهر مناسبة إعجاز القرآن وتعجيل المسرة إلى نفوس المؤمنين بإجلاء يهود بني النضير مما أدى إلى تماسك النص، وقد أخر العقوبة على السبب في قوله: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: 24– 27]؛ لأن "قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بعد ذكر افترائه على القرآن العظيم يدل على عظم افترائه وأنه سيصلى بسببه عذاب سقر"[56] فقد بين الشنقيطي أن سياق الآيتين في سبب وقوع العقاب وسياق الآية الثالثة في بيان العقاب الذي حل بالوليد بن المغيرة ففي هذه الآيات أدت المناسبة إلى تماسك النص وإظهار الإعجاز البياني في سورتي الحشر والمدثر من ناحية تقديم بيان العقوبة على السبب في سورة الحشر وتأخير العقوبة وتقديم السبب في سورة المدثر.

وقد وضح الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:81] وأتبع ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف:82] أنه نزه نفسه تنزيهًا تامًا عما يصفونه به من نسبة الولد إليه في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾، مبينًا أن رب السماوات والأرض ورب العرش – جدير بالتنزيه عن الولد، وعن كل ما لا يليق بكماله وجلاله[57].

تبين مما سبق أن سياق التقديس مناسب لسياق الافتراءات على الله؛ لأن التنزيه والتقديس لله – عز وجل– رد على المشركين مما حقق التماسك النصي في الآيتين.

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40].

ذكر الشنقيطي أن الله بين صفات الموعودين بهذا النصر في قوله تعالى بعده: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41][58].

فقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40] قد توسط المعنى العظيم الذي ترسمه الآيتان معًا فقصد الآية يشير إلى الضعف في الأمة الذي سببه قلة العدد والعُدد بينما تشير الآية التي بعدها إلى التمكين وإقامة الشعائر.

وضح الشنقيطي أن النصر الذي من عند الله هو لمن يقيم شرع الله عند السراء، والعز كما أقامه في الضراء.

(55) انظر: أضواء البيان 3/ 569.

(56) أضواء البيان 6 / 304.

(57) أضواء البيان 7/ 331.

(58) انظر: أضواء البيان 7/ 451.

فقد جعل الشنقيطي من السياق القرآني سبيلًا لبيان المناسبة؛ فللكلمة سر في اختيارها حتى تناسب السياق وللفاصلة حكمة حين تختم ما سيقت فيه وللآية رابط مع جارتها لإظهارها معنى لا تنفرد به واحدة عن أختها ومن المناسبات إلى صلب علم التفسير فقد كان التماسك محققًا في النصوص السابقة.

الثاني: الإجمال والبيان:

1- مفهومهما:

أ-الإجمال

اختلفت أقوال الأصوليين في تعريف الإجمال وأشهرها أنه: "هو ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجحٍ لواحدٍ منهما أو على غيره"[59] ويكون بعبارات مختصرة غير مبينة وغير موضحة وغير مفصلة لأجزاء الموضوع ومعالمِهِ وحدوده وقد ذكر الشنقيطي أن اللفظ المجمل لا يخلو من أحد أمرين:[60]

- إما أن يدل على معنى واحدٍ لا يحتمل غيره فهو نص نحو قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196].
- وإما أن يحتمل غيره وهذا له حالتان:

الأولى: أن يكون أحد المحتَمَلَين أظهر.

والثانية: أن يتساويا بأن لا يكون أحدهما أظهر من الآخر.

فإن كان أحد المعنيين أظهر فهو الظاهر ومقابله محتمل وإن استويا فهو المجمل.

فالألفاظ المجملة لا بد أن يُتوَقَّفَ فيها حتى يدل دليلٌ مبيِّنٌ للمقصود من المحتمل وقد يكون اللفظ واضح الدلالة من وجهٍ مجملًا من وجهٍ آخر وقد استدل الشنقيطي لذلك بقوله: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: 141]؛ لأنه واضحٌ في إيتاء الحق مجمل في مقداره لاحتماله النصف أو أقل أو أكثر[61].

ب- البيان:

البيان من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1- 4] فعن طريق البيان تفاهم البشر كل في مجموعته وعرف الفرد مراد الآخرين ونقلت العلوم ثم جاءت الكتابة فدونت هذه الأفكار والعلوم.

فالبيان هو: "إيضاح ما يشكل فهمه بسبب إجمال أو غيره سواء أتقدمه خفاء أم لا"[62] كما قال سبحانه وتعالى بعد ذكر الميتة فيما يحرم أكله مبينًا أنواعًا من الميتات: الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3].

وذلك أنه قد ينصرف إلى الذهن أن المقصود بالميتة ما مات حتف أنفه فقط، وأما التي ماتت بسبب من هذه الأسباب: الخنق والوقذ والتردي ليست بميتة، فجاء هذا البيان هنا لإجلاء ما قد يفهم خطأ من حصر الميتة فيما مات حتف أنفه فكل ما يزيل الإشكال يسمى بيانًا.

ويعد الإجمال والبيان من بين العلاقات الأساسية التي يعتمدها الترابط المفهومي في اتساق النص نظرًا لوظيفتها المهمة التي تكتسبه وتؤديه في تماسكية النص؛ إذ إنه بواسطة هذه العلاقة يكون تقوية الروابط الموجودة بين أجزاء النص، كما أنها تُعد إحدى

(59) أضواء البيان 59/1.

(60) انظر: أضواء البيان 59/1.

(61) انظر: أضواء البيان 60/1.

(62) أضواء البيان 1/ 60.

العلاقات التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها.

فهذه العلاقة شديدة الصلة بالتماسك النصي؛ إذ البيان يُعد شرحًا للإجمال، والإجمال – في الغالب– سابق للبيان، ومن ثم نرى أن البيان يعد المرجعية التفسيرية أو المعرفية لما سبق إجماله.

وتعد هذه العلاقة من أهم العلاقات التي اهتم بها المفسرون ففي تفسيرهم لبعض الآيات يشيرون إلى أن تلك بيان لآية كذا وأن هذه العلاقة لا تخلو من غاية فمن شأن البيان أن يؤكد المعنى المجمل وإذا كان المفسرون قد أشاروا إشارات كثيرة لهذه العلاقة على مستوى المتتاليات الخطية فإنهم لم يغفلوا عن إدراك وجود البيان والإجمال على مستوى المتتاليات العمودية، فتظهر هذه العلاقة على مستوى البنى الكبرى للنص وهذه العلاقة من أبرز العلاقات الدلالية في تفسير أضواء البيان فقد استعملها الشنقيطي بكثرة؛ لأنه اعتمد في تفسيره على الإجمال والبيان وينقسم البيان إلى خمسة أقسام: "بيان تقرير وبيان تفسير وبيان تغيير وبيان تبديل وبيان ضرورة"[63].

2- الإجمال والبيان في تفسير أضواء البيان:

اهتم الشنقيطي بهذين المصطلحين في تفسيره مما جعله يسمي كتابه بـ(أضواء البيان)؛ لأن كل ما يزيل الإشكال يسمى بيانًا، وقد تضمن تفسير أضواء البيان أنواعًا كثيرة من بيان القرآن بالقرآن، ومن هذه الأنواع ما صدّرَه الشنقيطي في تفسيره كالآتي:

أولًا: بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك سواء أكان في اسم أو فعل أو حرف مثال الاسم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29] أشار الشنقيطي إلى أن العتيق يطلق بالاشتراك: على القديم وعلى المعتق من الجبابرة وعلى الكريم وكلها قيل به في هذه الآية، ورجح بأنه القديم أي: أقدم البيوت التي وضعت للناس بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96][64]، فقد اتضح إجمال لفظ (العتيق) في آية الحج ببيان آية آل عمران.

ومثال إجمال الفعل فقد استدل الشنقيطي بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: 17] أشار الشنقيطي إلى أن ﴿عَسْعَسَ﴾ مشترك بين إقبال الليل وإدباره وقد جاءت آية تؤيد أن معناه في الآية (أدبر) وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: 33 34] فيكون (عسعس) في الآية بمعنى (أدبر) يطابق معنى آية المدثر، وذكر الشنقيطي أن الغالب في القرآن أنه تعالى يقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضيائه إذا أشرق كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: 2] وقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: 3] والحمل على الغالب أولى[65].

ثانيًا: بيان الإجمال بسبب الإبهام في اسم الجنس جمعًا كان، أو مفردًا، أو اسم جمع، أو صلة الموصول، مثال: الإبهام في اسم الجنس المجموع قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37]، أشار الشنقيطي إلى أن (كلمات) اسم جنس فقد أبهمت في الآية السابقة وتم بيان الكلمات في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا

(63) الموسوعة الفقهية الكويتية 8/ 220.

(64) انظر: أضواء البيان 1/ 10.

(65) انظر: أضواء البيان 40/1.

أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23][66].

ومثال اسم الجنس المفرد في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: 137] فقد ذكر الشنقيطي أن الله أبهم (كلمة) في الآية السابقة وبينها بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 65][67].

ومثل قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40] فقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40] عبارة مجملة لا توضّح معالم هذا الشّيء وحدوده الذي هو (إيفاء العهد) بقدر ما يدلُّ – في الجملة – بأنّ (إيفاء العهد) هو شيء عظيم ومهم، أمّا بيان هذا الشيء فقد أشار إليه الشنقيطي أنه أمر قد سكت عنه النّص في الآية السابقة الذكر، وذكر أنه تبيّن معالم الموضوع بحيث تتّضح أجزاؤه ومستوياته وحدوده بشكل مفصّل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: 12] فعهدهم هو المذكور في قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهد الله هو المذكور في قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[68].

فإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل ومناصرتهم والصدقة هو تفصيل وتبيين وتوضيح لذلك الذي هو عهد الله الذي أجمله النّص في آية البقرة، ثم وضح هذا الإجمال في آية المائدة، بحيث كانت آية المائدة تفصيلًا للآية في سورة البقرة المجملة فعهد الله قد اقترن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل ومناصرتهم...إلخ.

ثالثًا: الاستدلال على أحد معاني الآية بالقرآن مثل: الغلبة فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية مثل قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21] فالمراد بهذه الغلبة: الغلبة بالحجة والبيان، والغالب في القرآن استعمال الغلبة بالسيف والسنان، وذلك دليل واضح على دخول تلك الغلبة في الآية؛ لأن خير ما يبين به القرآن بالقرآن فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران: 12] وقوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ [النساء: 74] وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: 65] وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال:66][69].

فدلالة الاستدلال على أحد معاني الغلبة أدى إلى تماسك النص بصورة واضحة.

رابعًا: الاستدلال على جميع معاني الآية بالقرآن: فالشنقيطي يذكر الأدلة على ذلك من غير تعرض

(66) انظر: أضواء البيان 41/1.
(67) انظر: أضواء البيان 42/1.
(68) انظر: أضواء البيان 1/ 41.
(69) انظر: أضواء البيان 1/ 46.

لترجيح بعضها؛ لأن كل واحد منها صحيح ومثاله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 3] في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه للعلماء من التفسير، وكل واحد منها له مصداق في كتاب الله تعالى:

الأول: أن المعنى: هو الإله المعبود بحق في السماوات والأرض ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 84].

الوجه الثاني: أن قوله: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، متعلق بقوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾، أي: وهو الله يعلم سركم في السماوات وفي الأرض ويدل له قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 6].

الوجه الثالث: أن الوقف تام على قوله: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾، وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾، متعلق بما بعده، أي يعلم سركم وجهركم في الأرض، ومعنى هذا القول: أنه جل وعلا مستو على عرشه فوق جميع خلقه، مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك ويدل له قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5][70].

خامسًا: أن يكون الله عز وجل يذكر أمرًا أو نهيًا في موضع ثم يبين في موضع آخر هل حصل الامتثال في الأمر أو النهي أم لا؟

فكان الشنقيطي يجمع بين الأمر والنهي وكيف حصلت النتيجة هل امتثلوا أم لا في موضع واحد ومن الأمثلة على ذلك:

في الأمر قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:136] ولم يذكر هنا هل فعلوا ذلك أم لا؟ ولم يذكر جزاءهم إذا فعلوه، ولكنه بين كل ذلك في غير هذا الموضع، فصرح بأنهم امتثلوا الأمر بقوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:285] وذكر جزاءهم على ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:152][71].

ومثال النهي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [النساء: 154] لم يبين هنا هل امتثلوا هذا الأمر، فتركوا العدوان في السبت أو لا، ولكنه بين في مواضع أخر أنهم لم يمتثلوا وأنهم اعتدوا في السبت، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:65] ، وقوله: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163][72].

سادسًا: الإشارة الضمنية إلى دليل وبرهان: وذلك أن يشير الله تعالى في الآية من غير تصريح إلى برهان يكثر الاستدلال به في القرآن العظيم على شيء فكان الشنقيطي يبين ذلك بأن يجمع شتات المتفرقات ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

(70) أضواء البيان 1/ 53.

(71) انظر: أضواء البيان 1/ 45.

(72) انظر: أضواء البيان 1/ 321.

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21] وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: 22] أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت، وبينها مفصلة في آيات أُخر:

الأول: خلق الخلائق أولًا المشار إليه بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾; لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: 104]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: 62] والبرهان الثاني: خلق السماوات والأرض المشار إليه بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[البقرة: 22]؛ لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر: 57]، وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 81]، والبرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا﴾ [إبراهيم: 32]، وأوضحه في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: 39]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57][73].

فأشكال البيان وتنوعاته المختلفة كما استنبطها الشنقيطي ساهمت في إيضاح ما أجمله النص القرآني في بعض الآيات وأدت إلى تماسك نص التفسير.

ونخلص مما سبق أن الشنقيطي كان على وعي بموضوع الخطاب (بنيته الكلية) وقد اهتم بتنظيم الخطاب وترتيبه أي: بطريقة بناء الموضوعات وتتابعها ضمن قضية واحدة في نسق معين، فبين أن الموضوع الرئيسي للتفسير (البنية الكلية) يتفرع إلى موضوعات وأن هذه الموضوعات تتعالق فيما بينها كما أنه تنبه إلى قضية تغير موضوع الخطاب مشيرًا إلى عدم انفصاله انفصالًا نهائيًا عن الموضوع العام. وكذلك تبين أن تفسير (أضواء البيان) مبني بطريقة محبوكة؛ لذا فهو منسجم ومترابط ومرتب ترتيبًا منطقيًا وموضوعيًا وحين يبدو الأمر أن هناك انقطاعًا بين الآيات أو إجمالًا يسارع إلى توضيحه وتفسيره متكئًا على بيان الإجمال والمناسبة؛ لأن المناسبة من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي من ناحية ومن أهم الأسباب التي تبين إدراك علمائنا القدماء للتحليل النصي بصورة تقترب كثيرًا من التحليل المعاصر بل تفوقه في الجزء الخاص بالمناسبة.

المبحث الثاني: العلاقات الدلالية

مفهوم العلاقات الدلالية:

جرى التركيز على المستوى الدلالي في لسانيات النص وخاصة العلاقات الدلالية التي تسهم في تحقيق تماسك النص؛ لأنه "لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفًا تحقيق درجة معينة من التواصل سالكًا في ذلك بناء اللاحق على

(73) أضواء البيان 1/ 17.

السابق"[74] فهذه العلاقات تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية هذا النص/ الخطاب[75].

ويعرف سعد مصلوح **العلاقات الدلالية** أنها: "حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة اتصال نوعًا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفًا، أو حكمًا أو تحدد له هيئة أو شكلًا وقد تتجلى في شكل روابط لغوية واضحة في ظاهر النص كما تكون – أحيانًا– علاقات ضمنية يضيفها المتلقي على النص وبها يستطيع أن يوجد له مغزى بطريق الاستنباط وهنا يكون النص موضوعًا لاختلاف التأويل"[76].

وهذه العلاقات "تعمل على جمع أطراف النص وربط متواليات الجملية بعضها ببعض دون ظهور وسائل شكلية في ظاهره"[77] وتتعدى هذه العلاقات الترابط الشكلي إلى ما هو أبعد وأعمق.

أنواع العلاقات الدلالية:

صنف جميل عبد الحميد العلاقات الدلالية – استنادًا إلى دراسة أوجين نايدا أطلق عليها اسم العلاقات الدلالية بين البنيات النووية– كما يأتي:[78]

العلاقات الإضافية المتكافئة: وترتبط بين مفهومين ذوي دلالة واحدة غير أنهما في أشكال سطحية.

العلاقات الإضافية المختلفة: تربط بين قضيتين متماثلتي الفحوى إلا أن في القضية الثانية إضافة دلالية تختلف عن القضية الأولى وترتبط بها.

العلاقات الإبدالية: تكون بين قضيتين إحداهما بديلة عن الأخرى.

العلاقات التقابلية: تكون بين قضيتين متقابلتين، أو متضاربتين.

علاقة المقارنة: يقارن فيها بين قضيتين، أو حديثين، أو فعلين...إلخ.

علاقة المحتوى: تشتمل على خبر مكمل لخبر آخر.

علاقة العام بالخاص: كأن تكون القضية الأولى عامة، وتطرقت إليها القضية الثانية بنوع من الخصوصية، أو العكس.

علاقة الإجمال والتفصيل: تشتمل فيها القضية الأولى على دلالات ومعاني كثيرة تتطرق إليها القضية الثانية بشيء من التفصيل الواحدة تلو الأخرى.

علاقة الكل بالجزء: كأن تجسد القضية الثانية موضوعًا معينًا لا يتجزأ عن الموضوع الأساس الذي تحمله القضية الأولى.

علاقة الكيفية: تتم عبر وصف حدث ما من طريق آخر مماثل له.

علاقة المحيط أو الإطار: تهتم بوصف الإطارين الزماني والمكاني لحدث معين.

العلاقات المنطقية: تجسدها العلاقات السببية باختلاف أشكالها:

- المسبب / الأثر.
- السبب/ النتيجة.
- الوسيلة/ النتيجة.
- الوسيلة / الغرض.
- الشرط/ الجواب.
- الأساس/ التحقق.

(74) نحو النص ص 90.

(75) انظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق 1/ 95.

(76) نحو أجرومية للنص الشعري ص 154.

(77) لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب ص 268.

(78) انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص 142.

▪ المفترض/ النتيجة.

هذه العلاقات هي أبرز العلاقات الدلالية التي يمكن أن ترد في أي نص وسيتناول الباحث فيما يأتي وظيفة بعض العلاقات في تحقيق التماسك الدلالي في تفسير أضواء البيان.

العلاقات الدلالية في تفسير أضواء البيان:

العلاقات الدلالية في التفسير التي أدت إلى تماسك النص كثيرة نتناول بعضًا منها كالآتي:

1-علاقة العام بالخاص:

كل لغة من اللغات تزخر بالألفاظ الدالة على العموم إلى جانب الألفاظ الدالة على الخصوص فلكل منهما استعمالاته المختلفة والتعبيرات التي تجري بين المتعاملين باللغة، فالصيغ ذات الدلالة العامة لها أهمية وكذلك الصيغ ذات الدلالة الخاصة، فهذه العلاقة تناولها الأصوليون بالبحث والدراسة فلا يوجد كتاب ولا بحث إلا ويذكر العام والخاص فيه.

فهذه العلاقة من القضايا اللغوية المهمة التي أثارها الأصوليون وأولوها جانبًا كبيرًا من عنايتهم فوقفوا عند تعريفهما وأقسامهما وصيغهما.

وهي آلية من آليات تماسك النص التي استعملها الشنقيطي ولها وظيفة كبيرة في تماسك النص التفسيري ومما وجدته في أضواء البيان من الكلام على العموم ومخصصاته ما يأتي:

- قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: 3].

استدل -الشنقيطي بهذه الآية على كون المخصص للفظ العام متصلًا؛ لأن قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ له أوجه كثيرة من الإعراب معروفة مشيرًا إلى أن أظهر الأقوال: إنها بدل من الواو في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ بدل بعض من كل، فاللفظ العام في الآية هو (أسروا) وقد تقرر في الأصول: أن بدل بعض من كل من المخصصات المتصلة للفظ العام[79].

واستدل -أيضًا- بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97] إلى أن ﴿مَنِ﴾ بدل من ﴿النَّاسِ﴾: بدل بعض من كل، وهي مخصصة لوجوب الحج بأنه لا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلا[80].

ففي المثالين السابقين كان المخصص للفظ العام متصلًا في الآية نفسها مما جعل النص متماسكًا.

- ومثال المنفصل تخصيص عموم القرآن بالقرآن ما ذكره الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234] أن تعارضها مع قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4] من باب تعارض الأعمين من وجه، والمقرر في الأصول الترجيح بينهما، فيخصص عموم المرجوح بالراجح ثم قال: وقد بينت السنة الصحيحة أن عموم قوله: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ مخصص لعموم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 240] مع أن جماعة من الأصوليين ذكروا أن الجموع المنكرة لا عموم لها وعليه فلا عموم في آية البقرة؛ لأن قوله: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ جمع منكر فلا يعم بخلاف قوله: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾؛ فإنه مضاف إلى معرف بأل والمضاف إلى المعرف بها من صيغ العموم[81].

(79) انظر: أضواء البيان 133/4.

(80) أضواء البيان 134/4.

(81) انظر: أضواء البيان 1/ 220 و221.

فهذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ عامة تدل على أن عدة كل امرأة توفي زوجها عنها هي أربعة أشهر وعشرة أيام، ثم جاءت الآية الكريمة تخصص عمومها: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4] فجعلت مدة عدة الحامل المتوفى عنها زوجها هي وضع حملها، سواء بلغت المدة أربعة أشهر وعشرة أيام أم لم تبلغ فهذا التخصيص تخصيص منفصل جعل للنص تماسكًا.

– ويبرز الشنقيطي تخصيص عموم القرآن بالقرآن في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] فذكر أنه ورد لفظ مخصص له في آخر سورة من المصحف وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1]، فهذه العلاقة جعلت القرآن مرتبط أوله بآخره وذكر أن لفظ: رب الناس، بإضافة الرب إلى الناس، بما يشعر بالاختصاص، مع أنه سبحانه رب العالمين ورب كل شيء، كما في أول الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] وفي قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: 164] فالإضافة هنا إلى بعض أفراد العام[82] تدل على التخصيص والتشريف والتكريم للإنسان.

فقد رسمت لنا هذه العلاقة التماسك النصي بصورة واضحة عندما ربطت أول المصحف بآخره.

فالغاية من ذكر هذه العلاقة وشواهدها هو تبيين كيفية تحقيق التماسك النصي من خلال لفظ عام في آية يخصصه لفظ آخر في آية أخرى.

2- علاقة التكرار:

تعريف التكرار: عند علماء النص[83] هو: "إعادة العنصر المعجمي بلفظه أو بشبه لفظه أو بمرادفه أو بزنته أو بمدلوله أو ببعض منه أو بالاسم العام له؛ مما يؤدي إلى تماسك النص وسبكه"[84].

وهو شكل من أشكال التماسك النصي حيث يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي مما يحقق ترابط النص وتماسكه؛ إذ العناصر المكررة تحافظ على بنية النص وتغذي الجانب الدلالي فيه وذلك من خلال تكاثر المفردات وكثافتها وإعادة تأكيد كينونته واستمراريته[85].

وقد نبه روبرت دي بوجراند إلى أن التكرار قد يكون ضارًا إن لم يحسن استخدامه؛ مما يؤدي إلى إحباط الإعلامية وتقليصها[86].

أهمية التكرار: تكمن أهمية التكرار بأن له أثرًا نصيًا إذ يدعم التماسك النصي من خلال قيامه بوظائف أهمها أنه "يسهم في تتابع النص وترابطه، وأنه يظهر تعالق الجمل بعضها ببعض، وتقرير الكلام وتوكيده[87] ويسهم في فك شفراته الدلالية من خلال هذا التتابع الدلالي مما يدعم ثبات النص بهذه الديمومة الواضحة[88] وفائدته العظمى "التقرير والكلام إذا تكرر تقرر"[89].

غير أن أهم ما في الأمر هو أن يكون للعنصر المكرر أثرٌ في تماسك النص وإن العناصر المكررة تُعد وسيلة مهمة في إضفاء معاني دلالية جديدة متممة لمعنى

(82) انظر: أضواء البيان 9/ 173.

(83) هناك تعريفات للتكرار ومرادفه عند البلاغيين لم أتعرض لذكرها لأن المقام ليس مقاما بلاغيا.

(84) النص والخطاب والاجراء ص 303– 305.

(85) انظر: النص والخطاب والاجراء ص 303.

(86) النص والخطاب والاجراء ص 306.

(87) انظر: أثر التكرار في التماسك النصي ص 24.

(88) أثر التكرار في التماسك النصي ص 24.

(89) البناءات الجمالية في النص القرآني ص 347.

النص توكيدًا أو تعليلًا أو بيانًا وتفسيرًا أو اهتمامًا بالخطاب وما يترتب عليه من تقرير النص.

ولأهمية هذه العلاقة الدلالية التي تسهم في ربط أجزاء النص نعرض لعدد من النماذج التطبيقية التي استدل بها الشنقيطي في تفسيره، منها:

تكرار المعنى بالمرادف:

ذكر الشنقيطي أن في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1- 4] تكرار في قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فقد جاء بالمرادف للآية الأولى؛ لأن الآية الأولى تفيد معنى السورة كاملًا وقد دلت الآية الكريمة على أن الله – سبحانه وتعالى– أحد أي: في ذاته وصفاته لا شبيه ولا شريك ولا نظير ولا ندّ له سبحانه وتعالى؛ وقد فسَّره ضمنًا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11][90].

وقد استند الشنقيطي فيما ذهب إليه من دلالة التكرار في الآية السابقة إلى أقوال المفسرين حيث يقول: "وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أنه يفسّره ما بعده: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهذا معنىً حسن ومنه بإمعانِ النظر في مبدأ يفسره ما بعده؛ يتضح أن السُّورة كلها تفسيرٌ لأولها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]؛ لأن الأحدية هي تفرده سبحانه بصفات الجلال والكمال كلها ولأن المولود ليس بأحد؛ لأنه جزء من والده والوالد ليس بأحد؛ لأن جزءًا منه في ولده وكذلك من يكون له كفءٌ فليس بأحدٍ لوجود الكفء وهكذا السورةُ كلها تقرير لقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]"[91].

كما نجد أن التكرار في السورة السابقة قد أفاد زيادة تقرير معنى الوحدانية، والألوهية في نفس السامع، والمخاطب رغم عدم وجود الرابط البياني المباشر فيما بين تراكيب الآيات إلا أن التراكيب مترابطة برابط بياني غير مباشر، وهو ذكر السبب تعليلًا لما سبق في معنى الآية الأولى من السورة، فهو على ذلك تركيب شديد الاتساق والانسجام مترابط الأجزاء.

ومما استدل به الشنقيطي على التكرار الذي أضفى على النص ترابطًا وانسجامًا كما في سورة المسد في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: 1 –5] فذكر أن معنى الفعل (بت) بتقديم الباء كلها تدور على معنى القطع ويضاف إلى جانب هذا المعنى – القطع– في الآية الهلاك والخسران وسواء كان على سبيل الإخبار، أو الإنشاء، فإنه محتمل من حيث اللفظ ولكن قوله تعالى بعده: ﴿وَتَبَّ﴾ فهو إخبار فيكون الأول للإنشاء كقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس:17] ثم جاء الثاني تصديقًا له[92] ولما كان الأول محتملًا للخبر أو الإنشاء وقد لا ينفذُ أو يحتمل على الذم فقط والتقبيح جاء ﴿وَتَبَّ﴾ لبيان أنه واقع به لا محالة وأنه ممن حقّت عليهم كلمات ربّك؛ ليعلم – صلى الله عليه وسلم– والمسلمون من عدم إسلامه كي تنقطع الملاطفة معه وقد وقع ما أخبر الله به.

ويتضح من كلام الشنقيطي أن آية المطلع قد تضمنت كل معاني السورة في عبارة وجيزة مترابطة شديدة التماسك بين أجزائها؛ إذ حدث الهلاك مع تأكيد وقوعه بربط تلك الجمل بحرف العطف (الواو) فيما بين

(90) انظر: أضواء البيان 9/ 308.

(91) أضواء البيان 9/ 309.

(92) انظر: أضواء البيان 9/ 305 و306.

الجملتين الأولى والثانية التي تفيد تقرير وقوع الهلاك والدمار على المدعو عليه.

توكيد المعنى:

يذكر الشنقيطي أن الاستعاذة في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 1-6] برب الناس وملك الناس وإله الناس والمستعاذ منه هو شر الوسواس الخناس ولكأنها لأول وهلة تشير إلى الرب الملك هو الإله الذي يستحق أن يعبد وحده وإضافة الرب إلى الناس بما يشعر بالاختصاص مع أنه سبحانه رب العالمين ورب كل شيء ومجيء ﴿مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: 2، 3]؛ ليفيد العموم أيضا؛ لأن إطلاق الرب قد يشارك فيه السيد المطاع؛ كما في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31] فجاء بالملك والإله للدلالة على العموم ولكن إضافته هنا إلى خصوص الناس إشعار بمزيد اختصاص ورعاية الرب سبحانه لعبده الذي دعاه إليه؛ ليستعيذ به من عدوه وكما أن فيه تقوية رجاء العبد في ربه بأنه سبحانه بربوبيته سيحمي عبده لعبوديته ويعيذه مما استعاذ به منه وجميع استعمالات القرآن للفظ الناس إنما هو في خصوص الإنس فقط ولم تستعمل ولا مرة واحدة في حق الجن مع مراعاة استعمالها في هذه السورة وحدها خمس مرات حتى سميت سورة (الناس)[93] وعليه فحيث ورد لفظ الناس هنا مطلقا فلا يصح حمله على الجن والإنس معا بل يكون خاصًا بالإنس فقط.

وأما ما رجحه الشنقيطي في معنى الناس أنهم الإنس وأن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 6] بيان لمن يقوم بالوسوسة أي: بيان للوسواس الخناس وأنه من كل من: وسواس الجنة ووسواس الناس[94].

ففي هذا السياق نجد اتساقًا واضحًا في عبارات النص وذلك لما أفاده التكرار في (رب وملك وإله) من توكيد المعنى واهتمامه بالخطاب في هذا المقام.

تكرار الأمر بعد النهي:

ذكر الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ* وَ يَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 84 و85] أن مجيء الأمر بعد النهي يفيد التكرار فقوله: ﴿وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ فقد نهى الله عن نقصه ثم أمر بإيفائه بقوله: ﴿أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ فهذا نص على المفهوم بالتأكيد ونهاهم عن البخس والإفساد في الأرض؛ إذ قال: ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ لأن ما عند الله خير لهم[95] ومن خلال ما ذكره الشنقيطي نجد أن هذا التكرار قد أفاد فائدة عميقة في تماسك العبارة؛ ليوحي بأن العذاب متحتم للمطففين في الكيل والوزن وفي هذه العبارة ترابط لفظي ومعنوي متماسك في أجزاء النص.

3-علاقة التعليل:

تعد هذه العلاقة من وسائل التماسك الدلالي حيث يربط بين السبب والمسبب عنه برابط منطقي يترتب

(93) انظر: أضواء البيان 9/ 337 و338.

(94) انظر: أضواء البيان 9/ 339.

(95) انظر: أضواء البيان 9/ 52 و53.

حدوث أحدهما على حدوث الآخر وتتمثل علاقة التعليل في تفسير أضواء البيان بأدواتٍ كثيرةٍ حققت التماسك النصي منها ما يأتي:

أ-الباء: هي حرف مبنى ومعنى ولها معانٍ كثيرة تُذكر بحسب السياق ومن معانيها: السببية؛ لأنها ليست نصًا في التعليل دائمًا وإنما تأتي بمعنى التعليل كقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39] فذكر الشنقيطي أن الباء في قوله: "﴿بِأَنَّهُمْ﴾ سببية"[96] فهي حينئذ تفيد التعليل، فالسبب والعلة بمعنى واحد؛ إذ الظلم سبب لهلاكهم.

ومما استدل به الشنقيطي على أن الباء تكون سببية قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء:155] فذكر أن قول اليهود في هذه الآية: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾; لأن الغلف جمع أغلف، وهو الذي عليه غلاف، والغلاف بمعنى الغطاء الساتر وقد رد الله على اليهود دعواهم بـ (بل) التي هي للإضراب الإبطالي، في قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فالباء في قوله: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ سببية، وهي دالة على أن سبب الطبع على قلوبهم هو كفرهم، والأكنة والوقر والطبع كلها من باب واحد[97].

فوجود الباء الرابطة بين السبب وهو الكفر والمسبب الذي هو الطبع على القلوب أدى إلى تماسك النص.

ب-اللام: هي حرف معنى ومبنى ومع ذلك ليست نصًا في التعليل؛ لأنها ترد للتعليل أحيانًا وأحيانًا لمعانٍ أخرى، فورودها للتعليل كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: 21] فذكر الشنقيطي أن هذه الآية الكريمة: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: 21]، فيها "حذف دل المقام عليه"[98]، واستند-أيضًا- فيما ذهب إليه من دلالة التعليل إلى ما ذكره الزمخشري بقوله: "إن قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ تعليل معلله محذوف، أي: ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمر، أي: لنبين به قدرتنا ولنجعله آية"[99]، وكذلك قوله: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية:22]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ [يوسف: 21] فقد اتضح مما سبق أن اللام ربطت ما بعدها بما قبلها.

- واستدل الشنقيطي بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:116] على لام التعليل بقوله: ﴿لِتَفْتَرُوا﴾؛ لأنها تربط ما بعدها بما قبلها واستند الشنقيطي فيما ذهب إليه من دلالة التعليل إلى من سبقه من المفسرين بقوله: "وذكر الزمخشري أن: اللام في قوله: ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، من التعليل الذي لا يتضمن معنى الفرض وكثير من العلماء يقولون: هي لام العاقبة"[100].

فهذه اللام لا يقصد بها علة غائية وإنما هي لام العاقبة فقد جعلت الآية مترابطة مع بعضها بعضًا وقد تكون (لام) التعليل تفيد الغاية كما ذكر الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:

(96) أضواء البيان 5/ 263.
(97) انظر: أضواء البيان 7/ 7.
(98) أضواء البيان 3/ 389.
(99) أضواء البيان 3/ 389. وانظر: الكشاف 1/ 307.
(100) الكشاف 2/ 641، وأضواء البيان 2/ 462.

8]، فالعلة الغائية الباعثة لهم على التقاطه ليست هي أن يكون لهم عدوًا بل ليكون لهم قرة عين كما قالت امرأة فرعون: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:9] ولكن لما كان كونه عدوًا لهم وحزنًا يترتب على التقاطهم له؛ كترتيب المعلول على علته الغائية عبر فيه باللام الدالة على ترتيب المعلول على العلة[101].

تبين مما سبق أن ارتباط العلة بالمعلول في النصوص السابقة قد أدى إلى تماسك النص عند الشنقيطي في تفسيره.

ج-الفاء: هي حرف مبنى ومعنى يأتي أحيانًا بمعنى السببية ويأتي أحيانًا بمعانٍ أخرى فمجيئها للسببية ما ذكره الشنقيطي من أن الفاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50] دالة على التعليل؛ لأن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن كقولهم: سرق فقطعت يده، أي؛ لأجل سرقته ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:38]، أي: لعلة سرقتهما وكذلك قوله هنا: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾ أي: لعلة كينونته من الجن; لأن هذا الوصف فرق بين الجن والملائكة; لأنهم امتثلوا الأمر وعصا إبليس[102].

وبين الشنقيطي أن الفاء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3] دالة على سببية (فطبع)، أي: ثم كفروا فطبع على قلوبهم بسبب ذلك الكفر ومن المعلوم أن العلة الشرعية سبب شرعي وكذلك الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ فهي سببية أيضًا، أي: فطبع على قلوبهم، فهم بسبب ذلك الطبع ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفهمون من براهين الله وحججه شيئًا وذلك مما يبين أن الطبع والأكنة يؤول معناهما إلى شيء واحد، وهو ما ينشأ عن كل منهما من عدم الفهم؛ لأنه قال في الطبع ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[103].

ومن ذلك تبين أن الفاء في الأمثلة السابقة دالة على التعليلية وقد أدت وظيفة مهمة في تماسك النص.

د- الموصول وصلته هذا من الروابط التعليلية التي استدل بها الشنقيطي وذكر أن الموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4] بمثابة التعليل لموجب أمرهم بالعبادة; لأن الله سبحانه الذي هيأ لهم هاتين الرحلتين اللتين كانتا سببًا في تلك النعم عليهم، فكان من واجبهم أن يشكروه على نعمه ويعبدوه وحده كما أمر بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3 و4]، فقد ربط بين النعمة وموجبها، كالربط بين السبب والمسبب ففيه بيان لموجب عبادة الله تعالى وحده، وحقه في ذلك على عباده جميعًا، وليس خاصًا بقريش وذكر أن هذا الحق قرره الله في أول لفظ من القرآن في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، كأنه يقول هو سبحانه مستحق للحمد؛ لأنه رب العالمين، أي: خالقهم ورازقهم، وراحمهم... إلى آخره[104].

(101) انظر: أضواء البيان 2/ 462.
(102) انظر: أضواء البيان 3/ 290.
(103) انظر: أضواء البيان 7/ 7.
(104) انظر: أضواء البيان 9/ 111.

وتبين مما سبق أن الله المتفضل على عباده بالأمن والأكل والشراب وكل ما يحتاجه الإنسان وما خُلِق البشر لأجل هذا فقط وإنما خُلقوا؛ لأجل عبادة الله وحده قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] فالله ربط بين النعمة التي أنعمها على قريش وعبادته بأن يعبدوه ويشكروه؛ لأن هذا التقرير الذي ذكره الله بأنه أنعم على قريش كي يقروا له بالفضل ويؤمنوا به فهذا الربط الذي حققه الاسم الموصول جعل النص متماسكًا.

4 – علاقة المقابلة:

تعمل هذه العلاقة على الربط بين الآيتين على أساس أن مضمون الجمل المتتالية يكون مقابلًا لمضمون الجمل السابقة واستدل الشنقيطي لهذه العلاقة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12].

وفسر ذلك بقوله: (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ)، أي: "لم نجعل في القمر شعاعًا كشعاع الشمس ترى به الأشياء رؤية بينة، فنقص نور القمر عن نور الشمس هو معنى الطمس على هذا القول وهذا أظهر عندي لمقابلته تعالى له بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ وعلى التفسير المذكور أي: الشمس مبصرة، أي: ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء على حقيقته"[105].

فالمقابلة بين قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أفادت بين مضمون آية المحو وما تلاها من ذكر آية الإبصار في تحقيق التماسك النصي.

– وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم:75].

فقد أشار الشنقيطي إلى أن قوله: ﴿شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾، مقابلة لقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: 73]; لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم، والندي: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم، والجند هم الأنصار والأعوان، فالمقابلة المذكورة ظاهرة، وقد دلت آية من كتاب الله على إطلاق شر مكانًا، والمراد اتصاف الشخص بالشر لا المكان، وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ [يوسف: 77]، فتفضيل المكان في الشر هاهنا الظاهر أن المراد به تفضيله إخوته في الشر على نفسه فيما نسبوا إليه من شر السرقة لا نفس المكان، اللهم إلا أن يراد بذلك المكان المعنوي، أي: أنتم شر منزلة عند الله تعالى[106].

فقد اتضح من كلام الشنقيطي أن المقابلة بين قوله: (شر مكانًا) وقوله: (خير مقامًا) فالمكان لا يتصف بالشر وإنما أهله الذين يتصفون بالشر وأن المقابلة بين (أضعف جندًا وأحسن نديًا) من المعلوم أن ضد أضعف أقوى إلا أنه ذكر (أحسن)؛ ليدل على علو مكانتهم ومنزلتهم بين أقوامهم وكثرة أعوانهم فهذه المقابلة حققت التماسك النصي بين (الشر والخير) وبين (أضعف وأحسن).

– ومن الأمثلة التي عرض لها الشنقيطي استدلالًا بقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا

(105) أضواء البيان 3/ 57.

(106) انظر: أضواء البيان 4/ 321.

تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:117] على أن هذه الآية في مقابلة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31] فذكر الشنقيطي دلالة قوله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ على أن موت عيسى منفي من وجهين: الأول: أن عيسى يقول ذلك يوم القيامة، ولا شك أنه يموت قبل يوم القيامة، فإخباره يوم القيامة بموته لا يدل على أنه الآن قد مات والثاني: أن ظاهر الآية أنه توفي رفعًا وقبضًا للروح والجسد لا توفي موتًا وفي مقابلة التوفي بالديمومة فيهم في قوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:117] تدل على أنه لو كان توفي موتًا لقال ما دمت حيًا فلما توفيتني; لأن الذي يقابل الموت هو الحياة كما في قوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31] أما التوفي المقابل بالديمومة فيهم، فالظاهر أنه توفي انتقالًا عنهم إلى موضع آخر وغاية ما في ذلك هو حمل اللفظ على حقيقته اللغوية مع قرينة صارفة عن قصد العرفية، وهذا لا إشكال فيه[107].

وتبين من كلام الشنقيطي أن عيسى – عليه السلام– لم يمت بدلالة قوله: ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، أي: في قومه، فمقابلة قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ – أي: أنه توفي رفعًا إلى العالم العلوي– بقوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ قد تحقق التماسك النصي في هذه القضية قضية الموت والحياة لعيسى بن مريم – عليه الصلاة والسلام – على الرغم من تباعد السورتين: سورة المائدة وسورة مريم.

5– علاقة الترادف:

ذكر الشنقيطي أن من أنواع البيان بيان اللفظ بمرادف له أشهر منه، وهي من العلاقات التي أسهمت – على قلتها– في بناء الوحدة الدلالية لنصوص بعض الآيات (النص).

وتقوم علاقة الترادف على ربط الألفاظ مع وجود مباعدة في النص وهذا ما يعطي الفرصة لاتساع وجودها في النص؛ مما يحقق وجودًا دلاليًا أكثر فاعلية وقد استدل الشنقيطي بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4] على أن العرب تستعمل جاء وأتى بمعنى: فعل، فقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا﴾، أي: فعلوه، وقيل: بتقدير الباء، أي: جاءوا بظلم، ومن مجيء أتى بمعنى فعل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ [آل عمران:188]، أي: بما فعلوه فالإفك هو أسوأ الكذب؛ لأنه قلب للكلام عن الحق إلى الباطل، ومنه قوله تعالى في قوم لوط: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [التوبة: 70]، وقوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: 53] وإنما قيل لها مؤتفكات؛ لأن الملك أفكها، أي: قلبها; كما أوضحه تعالى بقوله: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: 82][108].

فقيام علاقة الترادف بين قضايا متباعدة تتيح لتلك العلاقة فرصة الدخول مع علاقات دلالية أخرى في النص فتزداد وضوحًا في عقل القارئ وتزداد عمقًا لكونها تمثل مجموع قضايا كبرى كما وضح الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: 52] أن هذه الآية الكريمة لم يبين الله فيها هل رد إبراهيم السلام على الملائكة أم

(107) انظر: أضواء البيان 7/ 201.

(108) انظر: أضواء البيان 6/ 220.

لا؛ لأنه لم يذكر هنا رده للسلام عليهم، وإنما قال عنه إنه قال لهم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾، وذكر الشنقيطي أن الله بين في هود والذاريات أنه رد عليهم السلام بقوله في هود ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69] وقوله في الذاريات: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: 25 و26]، فالوجل المذكور هنا هو الخوف; لقوله في القصة بعينها في هود: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [هود: 70] وقوله في الذاريات: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [الذاريات: 28] فقد بين اللفظ بلفظ مرادف له وهو أشهر منه كما هنا؛ لأن الخوف يرادف الوجل وهو أشهر منه، وبين أن سبب خوفه هو عدم أكلهم بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [هود: 70][109].

من خلال ما سبق نجد أن علاقة الترادف أسهمت على قلة ورودها في التفسير في بناء الوحدة الدلالية للنصوص التي وردت فيها؛ وذلك في ضوء تأكيد المفسر على هذه القضايا وإعادة استحضارها في النص بتعبيرات مختلفة تعكس أهميتها في بناء وحدة النص.

ومهما يكن من أمر فإن الشنقيطي اهتم ببيان العلاقات الدلالية الواقعة بين المتتاليات الجملية في تفسير آية بآية، فبين سبب ارتباط هذه المتتاليات بعضها ببعض إما أن يكون الارتباط عامًا بخاص، أو بتكرار، أو بتعليل، أو بمقابلة، أو بترادف.

المبحث الثالث: التماسك والسياق

أولًا: تعريف السياق:

السياق في اللغة: من الجذر اللغوي (س و ق) والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقا)[110]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق: 21]، أي: سائق يسوقها إلى محشرها.

وقال الزمخشري: "ولدت المرأة ثلاث بنين على ساق واحد: بعضهم في إثر بعض ليس بينهم جارية وهو دلالة على التتابع والتوالي"[111].

فالمعنى اللغوي يفيد النظم والتتابع ويتفق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي.

وفي الاصطلاح هو: "بناء نصي كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة ودائمًا ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقى الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"[112].

وينظر تمّام حسان إلى السياق من ناحيتين أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص أي: السياق اللغوي ثانيهما: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى سياق الموقف[113]، إذن فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال السياق.

(109) انظر: أضواء البيان 3/ 132.
(110) لسان العرب 10 / 166.
(111) انظر: أساس البلاغة ص 484.
(112) منهج السياق في فهم النص (بحث) ص 43.
(113) انظر: أصول النظرية السياقية عند علماء العرب ص9.

أما السياق عند براون ويول فهو يؤدي وظيفة فعالة في تأويل النص/ الخطاب وفهمه وتفسيره فهو يتشكل لديهما من المتكلم والمستمع والزمان والمكان[114].

ثانيًا: السياق عند القدماء والمحدثين:

اعتنى علماء اللغة بنظرية السياق كثيرًا حتى صارت عندهم الركن الرئيس في تحليل الخطاب وفهم النص.

أما علماء البلاغة المسلمون فقد كانت عنايتهم بالسياق مصاحبة لنزول القرآن الكريم وكان له حضور مؤثر في فهم النص العربي بعامة فلا تجد لغويًا ولا أصوليًا إلا أشار إلى ذلك عند كلامه عن الدلالة في أثناء شرح النصوص.

وكان علماء اللغة والأصوليون يهتمون بهذه الدلالة منذ نزول القرآن الكريم وربط معنى الآية بسبب النزول وكذلك ربطوا الدلالة عند حديثهم عن الحقيقة والمجاز والخاص والعام بالسياق[115].

فاهتمامهم بالسياق دفعهم إلى أن جعلوه البلاغة ذاتها بحيث جعلوا بلاغة الكلام أن يكون مطابقًا لمقتضى حال المخاطَب.

وجاء في البيان والتبيين أنه: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[116].

وركز الجرجاني على السياق اللغوي من حيث بناء الكلمات وترابطها لإحداث فكرة أو معنى ما كما ركز على السياق الحالي أو المقامي وهو وضع موافقة الكلام لمقتضى الحال يقول: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[117].

فالجرجاني يرى أن الكلام المنطوق بصورة منظمة هو المستوى الثاني من الكلام وهو ما يسميه بالنظم ويشبه أن يكون النظم مرادفًا لمفهوم السياق[118] فهو هنا يرفع المعنى عن مستوى رصّ الكلمات إلى حسن نظمها ورصفها وهو السياق اللغوي فالألفاظ لم توضع؛ لتعرف معانيها في أنفسها وإنما من خلال ضم كلمة إلى أخرى؛ ليعرف معناها وفائدتها[119].

كما اهتم البلاغيون العرب اهتمامًا خاصًا بالسياقات التي يخرج فيها الكلام عن المعنى اللفظي إلى معانٍ خاصة يفرضها الحال السياقي للجمل من خلال تأسيس علم المعاني.

ويمكننا أن نمثّل على إدراكهم للسياق اللغوي بهذه الحادثة يروى أن الفيلسوف الكندي قال للمبرد: إني أجد في كلام العرب حشوًا يقولون: عبدالله قائم وإن عبدالله قائم وإن عبد الله لقائم فرد عليه المبرد بل المعاني مختلفة: فعبد الله قائم – إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم – جواب لسؤال سائل وإن عبد الله لقائم – جواب عن إنكار منكر[120].

مما سبق تبين أن علماء العرب القدامى لم يغفلوا عن معرفة السياق وأهميته في كلامهم كما اهتم به المعاصرون فمن المعلوم أن اللسانيات المعاصرة تضمنت تيارات قوية احتضنت اللغة الفنية بوصفها

(114) انظر: تحليل الخطاب ص47.

(115) انظر: مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته وأثره في تحديد العلاقات الدلالية (بحث) ص96.

(116) البيان والتبيين 1/ 138 139.

(117) دلائل الإعجاز ص93.

(118) انظر: منازل الرؤية ص129.

(119) انظر: دلائل الإعجاز ص353.

(120) انظر: مفتاح العلوم ص171.

انحرافًا أو انزياحًا عن المعيار فاللغة إحدى أنظمة العلامة واللسانيات بوصفها علم العلامات اللفظية.

ويمكن عد دي سوسير أول من درس اللغة وفق هذا الجانب فقد كانت أفكاره ودراساته اللغوية بداية مختلفة ونقطة أساسية لكل من جاء بعده حيث كانت الأكثر فاعلية في بلورة اتجاهات اللغة؛ لتصبح مثالًا يحتذي به كل اللغويين في دراساتهم ومع أهمية المدارس اللغوية الأخرى كالشكلية الروسية وحلقة براغ ومدرسة كوبنهاجن وأثرها العميق في حقل الدراسات اللغوية إلا أن سوسير كان الأهم والأكثر تأثيرًا.

ثالثًا: أنواع السياق:

يمكن تقسيم السياق من ناحية كونه لغويًا أو غير لغوي إلى قسمين هما: سياق لغوي وسياق غير لغوي[121]:

أ- السياق المقالي (اللغوي): يتمثل في النص بجميع مستوياته اللغوية وكينونتها النصية؛ إذ إن معنى الكلمة لا يتحدد إلا بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية.

ب- السياق المقامي (غير اللغوي): يتمثل في ظروف النص وملابساته الخارجية التي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة والمتباينة التي ينجز ضمنها النص وينتهي ضمنه المظهر الخطابي ذو الرسالة اللغوية في مقام معين[122]، وقد جعل علماء النص السياق بنوعيه أساسًا للتحليل النصي فانطلقوا من كون النص "ليس إلا حالة خاصة من البيئة المحيطة"[123]، فأي تحليل لأي سلسلة لغوية دون مراعاة السياق يصبح محل شك فعدم الإحاطة بالسياق تقطع توصيلة الخطاب وانسجامه.

إذن فالسياق اللغوي يعرف بالمقال بينما السياق غير اللغوي يعرف من خلال المقام ويرتبط التماسك النصي ارتباطًا وثيقًا بالسياقات المختلفة سواء الداخلية أو الخارجية التي تشترك وتتظافر مع غيرها من أدوات التماسك لتحقيق النصية.

السياق في تفسير أضواء البيان:

للسياق أهمية كبيرة عند الشنقيطي في منهجية تفسيره ومن أهميته ما يأتي:

1-دلالة السياق في تحرير المعنى المراد من المشترك اللفظي:

قسم علماءُ العربية ألفاظها من حيث كمية المعاني إلى ثلاثة أنواع: مختص ومشترك ومترادف؛ **فالمختص:** هو اللفظ الواحد الدال على معنى لا يدل على غيره ولا يدل غيره عليه **والمشترك:** هو اللفظ الدال على معنيين فصاعدًا **والمترادف:** هو اللفظ الدال على معنى له لفظ آخر يدل عليه[124].

إن اللفظ المشترك ظاهرة من ظواهر اللغة العربية وقد اشتغل كثير من علماء القرآن بتقرير المشترك اللفظي في القرآن الكريم واستخراجه بل إن منهم من أفرده بمؤلف وقد اعتمد جمهورهم على السياق القرآني في تحديد المعنى المراد من المشترك اللفظي[125]، وقد تعرض الشنقيطي من خلال تفسيره للمشترك اللفظي واعتمد في بيان أغلبه على السياق ومن الأمثلة على ذلك:

(121) انظر: أصول النظرية السياقية عند علماء العرب ص20.

(122) انظر: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ص89.

(123) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق 1/ 109.

(124) انظر: ابن فارس اللغوي منهجه وأثره في الدراسات اللغوية ص549.

(125) انظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص62 – 78.

– **ترجيحه لأحد معاني (البأس)** في قوله تعالى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الأحزاب:18].

فكلمة (البأس) تأتي في القرآن على ثلاثة معانٍ: العذاب الفقر القتال[126]، وقد رجح الشنقيطي المعنى الثالث وهو القتال بدلالة السياق فقال: "أشار في موضع آخر إلى أن البأس القتال، وهو قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 18] كما هو ظاهر من سياق الكلام"[127].

فاتضح أن سياق الآية في إطار الحديث عن غزوة الأحزاب هو الذي أظهر أحد معاني كلمة البأس وهو كون المقام مقامًا حربيًا ومع ذلك فقد حقق تماسكًا نصيًا.

– **وكذلك رجح الشنقيطي أحد معاني (الروح)** في قوله تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾ [النحل: 2] مشيرًا إلى أن أظهر الأقوال في معنى (الروح) في هذه الآية الكريمة: "أن المراد بها الوحي; لأن الوحي به حياة الأرواح، كما أن الغذاء به حياة الأجسام ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: 52]، وقوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 15 و16].

ومما يدل على أن المراد بالروح الوحي – أن لها ثمانية أوجه هي: روح الحيوان جبريل عليه السلام ملك عظيم من الملائكة الوحي الرحمة الأمر الريح الحياة[128]– مجيئه بعد قوله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: 2] وبقوله: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ [النحل:2]؛ لأن الإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ [الأنبياء: 45]، وكذلك مجيئه بعد قوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: 15]؛ لأن الإنذار إنما يكون بالوحي أيضًا"[129].

حيث إن التماسك النصي تحقق في إبراز أهميته في توضيح المعنى المراد من خلال سياق الآية في نزول الملائكة بالإنذار فقد تعين وجه الوحي من كلمة الروح في الآيات المذكورات.

– **ورجح الشنقيطي واحدًا من معانى (المولى)** في قوله تعالى: ﴿**يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**﴾ [الحج: 12 13] مشيرًا إلى أن أظهر الأقوال في معنى (المولى) في الآية: "أن المراد بالمولى والعشير المذموم في هذه الآية الكريمة، هو المعبود الذي كانوا يدعونه من دون الله، كما هو الظاهر المتبادر من السياق"[130]؛ لأن كلمة (المولى) من المشترك اللفظي حيث تذكر مصادر الوجوه والنظائر لكلمة (المولى) معاني كثيرة

(126) انظر: الوجوه والنظائر ص175.
(127) انظر: أضواء البيان 1/ 142.
(128) انظر: الوجوه والنظائر ص102، والمفردات ص369.
(129) انظر: أضواء البيان 3/ 256.
(130) أضواء البيان 5/ 51.

منها: الولد الصاحب الرب العون الآلهة الولي في دين الكفر الولي في دين الإسلام المولى المعتق[131].

فالمولى: هو كل ما انعقد بينك وبينه سبب، يواليك وتواليه به والعشير: هو المعاشر، وهو الصاحب والخليل[132]، والشنقيطي استدل بالسياق القرآني على إرادة أحد هذه الأوجه وهو الولي في دين الكفر؛ فإن سياق الآيتين فيمن يدعو غير الله تعالى فناسب أن تكون هذه الولاية ولاية الكفار ومن خلال ذلك تحقق التماسك النصي.

– ومن الأمثلة التي اتكأ الشنقيطي في تفسيره على السياق ترجيحه لأحد أوجه معاني كلمة (الضلال) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: 8]. فكلمة (الضلال) من المشترك اللفظي فقد ذكرت مصادر الوجوه والنظائر لكلمة (الضلال) اثني عشر وجهًا وهي: الحلم والنسيان وعدم العلم بمبلغ الجرم والخطأ والكفر والغفلة والإحباط والعذاب والخسران والحيرة[133].

وقد وجد الشنقيطي أن أرجح تلك الوجوه في هذه الآية الكريمة هو الذهاب عن إدراك حقيقة الأمر ومرجعيته في هذا الترجيح سياق الآية وما ماثل سياقها من خطاب قرآني آخر حيث يقول: فكلمة (الضلال) في الآية ليس مرادًا به الاعوجاج عن طريق الحق، فالظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – في هذه الآية الكريمة إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر.

ويناسب هذا المعنى أن ورود لفظ (الضلال) بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95]، وقوله تعالى في نبينا – صلى الله عليه وسلم–: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: 7]، أي: لست عالمًا بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي، فهداك إليها وعلمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم.

وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين; إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفارًا، وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به؛ حيث آثر اثنين على عشرة مع أن العشرة أكثر نفعًا له وأقدر على القيام بشئونه وتدبير أموره[134].

فالسياق – كما تنبه لذلك الشنقيطي – يدعو إلى عدم العلم بحقائق الأمور، فناسب أن تكون الضلالة التي هي الذهاب عن إدراك الحقيقة حال سياقها وذلك مما أكد التماسك النصي لخطاب التفسير عند الشنقيطي.

2 – دلالة السياق في بيان مدلول الكلمة القرآنية:

إن التعرف إلى معنى الكلمة القرآنية وتحديد مدلولها أول واجب على مريد تفسير القرآن الكريم وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: "أول ما يحتاج أن يشغل به من علوم القرآن (العلوم اللفظية) ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك

(131) انظر: الوجوه والنظائر هارون ص 128 والمفردات ص 885 والاشتراك اللفظي ص 237.

(132) انظر: الاشتراك اللفظي ص 239 ودلالة السياق القرآني ص 100.

(133) انظر: الوجوه والنظائر ص 300 ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص 407- 409.

(134) انظر: أضواء البيان 3/ 100.

معانيه كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه"[135].

ومما استعان به الشنقيطي لبيان مدلول الكلمة القرآنية موقعها من السياق أنه ذكر في مقدمة تفسيره أن من أنواع البيان المذكورة فيه – بقصد تفسيره – أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه[136] كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32] فذكر الشنقيطي أن الله صرح "بدخول البدن في هذا العموم بقوله بعده: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الحج: 36]"[137]، فالسياق صرح بدخول الهدي الذي يهديه الحاج لفقراء الحرم في موسم الحج حينما يكون متمتعًا أو قارنًا في مدلول كلمة (شعائر) مما جعل النص متماسكًا مع بعضه.

– ويذكر الشنقيطي معنى (الوعظ) بدلالة السياق في قوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فالوعظ هو: الكلام الذي تلين له القلوب.

فإن قيل: يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي كقوله هنا: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، وكقوله في سورة البقرة بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 232] ، وقوله (في الطلاق) في نحو ذلك أيضًا: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: 2]، وقوله في النهي عن مثل قذف عائشة: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 17] ، مع أن المعروف عند الناس: أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب، لا بالأمر والنهي[138].

فالسياق في آيات النحل، وسورة البقرة، وسورة الطلاق وسورة النور سياق أحكام تكليفية وختم تلك السياقات بالوعظ دال على شمول الوعظ لأحكام الحلال والحرام مما حقق تماسكًا نصيًا.

– وعند كلمة (الطاغية) يذكر الشنقيطي أصلها اللغوي ومعناها الذي حكم به السياق؛ أن الطغيان في لغة العرب: "مجاوزة الحد كقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: 5] وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]"[139] فالطغيان هو الارتفاع ومجاوزة الحد في الكثرة وقد يستعمل الطغيان في شدة الظلم؛ لأنه تجاوزٌ لحد الصفة كقوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: 43]؛ لأنه قد تجاوز الحد في الكبر والظلم وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ [الصافات: 30] فالسياق في بيان بعض العقوبات التي حلت بالأمم الكافرة فلزم أن تكون كلمة (الطاغية) المراد منها العقوبة التي حلت بثمود وهي الصيحة والطوفان الذي حل بقوم نوح – عليه السلام– والتكبر والظلم عند فرعون مما أدى به إلى أن أغرقه الله تعالى فاتحاد أصل الطغيان في الآيات السابقات حقق تماسكًا نصيًا.

(135) انظر: المفردات ص 54.
(136) انظر: أضواء البيان 1/ 35.
(137) أضواء البيان 1/ 35.
(138) انظر: أضواء البيان 3/ 58.
(139) أضواء البيان 7/ 138.

– وكذلك في لفظ (بعض) يبرز أثر الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 85].

وتبين مما قبله أن بعض الذي آمنوا به هو فداء الأسارى منهم وبعض الذي كفروا به هو إخراجهم من ديارهم وقتلهم ومظاهرة العدو عليهم وإن كفروا بغير هذا من الكتاب وآمنوا بغيره منه[140] فلفظ (بعض) الذي في الآية لا يستطيع أحد أن يفسره بغير دلالة السياق؛ فإن لفظ (بعض) لفظ مبهم في العربية لا يمكن معرفة مدلوله إلا من خلال التراكيب؛ لذلك جاء النص متماسكًا مع بعضه.

– المسند الإضافي في قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:49]، لا تتخيل صورة من صوره إلا من خلال السياق فهو يجعل القارئ يتساءل ما هو (سوء العذاب)؟

فسوء هو: ذبح الأبناء واستحياء النساء فذكر الشنقيطي أن سوء العذاب هو هذا يبينه قوله بعده: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[البقرة: 49][141]، بدون واو قبل الفعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بينما في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: 6] فسوء العذاب أشياء؛ لأن الواو أفادت أن سوء العذاب شيء آخر غير هذا المذكور فدل ذلك على أن سوء العذاب أشياء كثيرة منها هذا بينما في البقرة حصره على شيئين فقط فيكون في البقرة اقتصر على أهم أنواع العذاب وفي سورة إبراهيم أشار إلى تعدد أنواع العذاب ومنها هذا المذكور وهو ذبح الأبناء واستحياء النساء فالمعنى زاد بزيادة حرف الواو[142].

فكلمة سوء العذاب لا تتعدى أن تكون وصفًا للعذاب بالسوء بينما حدود سياق الصورة المرادة من العذاب السيئ الذي أنزله آل فرعون على بني إسرائيل حيث قتلوا أبناءهم، وأبقوا نساءهم، فقد اتضح تماسك النص مع بعضه من خلال تفسير الشنقيطي للمسند الإضافي في نهاية الآية.

3–دلالة السياق في تحديد نوع المخاطب من الآيات القرآنية:

وهذه فائدة من فوائد السياق، وقد ذكرها الطبري عند قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20].

قال الطبري: "وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20] خطاب لبني إسرائيل حيث جاء في سياق قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 20]، ومعطوفًا عليه"[143].

وممن ظفر بهذه الفائدة من السياق الشنقيطي في تفسيره والدليل على ذلك:

– قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 19].

وضح الشنقيطي أن المراد بالفتح في هذه الآية: الحكم، فهو يدل على أنه تعالى أتبعه بما يدل على

(140) انظر: أضواء البيان 1/ 95.
(141) انظر: أضواء البيان 1/ 90.
(142) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، بازمول ص 46.
(143) جامع البيان، الطبري، مجلد 4– 6/ 205.

أن الخطاب لكفار مكة، وهو قوله: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾ [الأنفال: 19][144].

فقد وردت لفظة (الفتح) في القرآن على أربعة معانٍ وهي: القضاء والحكم الفتح ضد الإغلاق الإرسال النصر[145]، وذكر الشنقيطي أن من إطلاق الفتح بمعنى الحكم في القرآن ما ورد عن شعيب وقومه: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]، أي: احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين، ويدل على ذلك قوله تعالى عن شعيب في القصة نفسها: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]، وهذه لغة حمير؛ لأنهم يسمون القاضي فتاحا والحكومة فتاحة[146].

من خلال السياق تبين أن الخطاب لكفار مكة بأنهم يطلبون سرعة القضاء، والحكم بينهم وبين النبي – صلى الله عليه وسلم– بدلالة قوله: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عما تفعلون من الظلم، العدوان مما جعل النص متماسكًا.

– في بيان المأمور بالصدع بالأذان في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

فالخطاب في قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: 27] ذكر الشنقيطي أنه "لإبراهيم كما هو ظاهر من السياق، وهو قول الجمهور، خلافًا لمن زعم أن الخطاب لنبينا صلى الله عليه وعلى إبراهيم وسلم"[147].

فالسياق في إبراهيم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج:26] وهو قاضٍ أن الخطاب في قوله: ﴿وَأَذِّنْ﴾ لإبراهيم.

فقد أدى السياق وظيفة مهمة في توضيح المعين من الأمر في الخطاب بالأذان بأنه لإبراهيم، وهذا الأثر الذي أداه السياق في تحديد نوع المخاطب من خلال القرينة وضح تماسكًا نصيًا.

– ومما ذكر الشنقيطي ترجيح نوعية المخاطب بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 1] مشيرًا إلى أن الظاهر المتبادر من الآية الكريمة: "أنها تهديد للكفار باقتراب العذاب يوم القيامة مع نهيهم عن استعجاله... وذلك أنه أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فدل بذلك على تقريعه للمشركين به ووعيده لهم"[148].

فقد ختمت الآية بما يشير إلى المخاطب – وهم الكفار– دلالة سياقية يجيء اعتبارها بأنها حققت تماسكًا نصيًا.

ومما سبق يمكن القول: إن الشنقيطي قد اشتغل على السياق في توجيه الدلالات اللغوية صوب المعنى المراد بوصفه – أي السياق–من أبرز الروابط النصية وتحددت أهميته عنده في الآتي:

– أنه عمدة الاختيار بين وجوه اللفظ المشترك؛ فاللفظ المشترك عند تجرده من التركيب تتخطفه الوجوه التي يدلي بها؛ فإذا انسكب في سياق ما، نفرت منه الوجوه

(144) انظر: أضواء البيان 2/ 410.
(145) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه النظائر ص462.
(146) انظر: أضواء البيان 2/ 410.
(147) أضواء البيان 69/5.
(148) أضواء البيان 255/3.

التي لا تتلاءم مع السياق، وعلى ضوء ذلك سار الشنقيطي في أمثلته.

– أن السياق هو الكفيل ببيان مدلول الكلمة القرآنية، وفي تحديد نوع المخاطب من الآيات القرآنية.

نتائج البحث

اعتمد هذ البحث على منهج وصفي تحليلي قام على رصد الوقائع النصية، ومقاربة روابطها اللسانية الدلالية، وبهذا توصل البحث إلى مجموعة من النتائج العامة، وهي:

1– أن آليات التماسك النصي التي تناولها الدرس اللساني الحديث كان لها بذور وإشارات قيمة عند اللغويين العرب القدامى في إطار دراستهم لنحو الجملة، وكانت نظرتهم إليها في إطار العلم، وحولها اللسانيون إلى منهج وأدوات إجرائية.

2– يؤكد البحث اهتمام الشنقيطي بالمستوى الدلالي من حيث: التركيز على موضوع الخطاب وأهميته.

3– كشف البحث عناية الشنقيطي بإظهار وجوه التماسك في الموضوع الواحد والسياقات المتعددة؛ لأنه عمدة الاختيار بين وجوه اللفظ المشترك، وتحديد نوع الخطاب، والكفيل في بيان مدلول الكلمة القرآنية، ومناسبتها، وسر اختيارها حتى تناسب السياق.

4– برزت الوحدة الدلالية لنص التفسير عن طريق مجموعة من الآليات تمثلت في العلاقات الدلالية في النص، كعلاقة العام والخاص، والتعليل، والترادف، وغير ذلك.

وبعد هذا، فإن الغاية القصوى، والهدف السامي الذي توصل إليه البحث هو مدى مرونة النصوص العربية التراثية في كيفية تحليلها، وقابليتها لاستحكام مختلف الآليات والإجراءات التي انتجتها مختلف الدراسات الحديثة، منها: **نحو النص** الذي يملك آليات ناجحة في كيفية تعامله مع النصوص التراثية، وذلك بالاعتماد على مصطلح (التماسك) بمفهومه الكامل.

قائمة المصادر والمراجع

[1] القرآن الكريم

[2] (2003). مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته، وأثره في تحديد العلاقات الدلالية، والأسلوب، مجلة علوم اللغة، المجلد 3، العدد4.

[3] المطيري، أحمد لافي. (2007). دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، (رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية.

[4] أبو زنيد، عثمان. (2010). نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديثة، الطبعة الأولى.

[5] أبو غزالة، إلهام. وحمد، علي خليل. (1993). مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ودريسلر، نابلس، مطبعة دار الكتاب، الطبعة الأولى.

[6] أبوخرمة، عمر. (2004). نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، الأردن، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى.

[7] الإبي، نجاة. (2010). آليات التماسك النصي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ت 885هـ، (**رسالة ماجستير**)، جامعة تعز، كلية مركز اللغات.

[8] الهواوشة، محمد سليمان حسن، (2008). أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة.

[9] الأزهري الهروي، محمد. (2001). تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى.

[10] الأزهري، الزناد. (1993). نسيج النص، بيروت، المركز الثقافي العربي.

[11] استيتيه، سمير شريف. (2003). منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، عمان، دار وائل، الطبعة الأولى.

[12] الأصفهانى، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب. (1412 هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق بيروت– الدار الشامية، الطبعة الأولى.

[13] الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية. (1422). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

[14] بازمول، محمد بن عمر. (1424). سالم شرح مقدمة في أصول التفسير.

[15] بالجاحظ، عمرو. (1423هـ) البيان والتبيين، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

[16] بحيري، سعيد. (1997). علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.

[17] بحيري، سعيد. (2007). علم لغة النص نحو آفاق جديدة، نقلها إلى العربية، القاهرة، كلية الألسن جامعة عين شمس، مكتبة زهراء الشرق.

[18] البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422). صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.

[19] براون ويول. ترجمة وتعليق: الزليطي، محمد لطفي، والتريكي، منير (1997). تحليل الخطاب، الرياض، منشورات جامعة الملك سعود.

[20] البطاشي، خليل بن ياسر. (2010). الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، عمان – الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

[21] بولنوار، سعد. (2012). آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية، **(أطروحة دكتوراه)**، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات.

[22] بوهادي، عابد. (2013). أثر النحو في تماسك النص، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد الأربعين، العدد الأول.

[23] الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز. تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني، الطبعة الثالثة.

[24] الجزار، محمد فكري. (1987). العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، مصر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الأولى.

[25] الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. (1984). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، لبنان/ بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

[26] حاتم، باسل، وميسون، إيان، ترجمة: عطاري، عمر فايز. (1998). الخطاب والمترجم، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى.

[27] الحسناوي، محمد. (2000). الفاصلة القرآنية. عمان، دار عمان، الطبعة الثانية.

[28] الحلوة، نوال. (2012). أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات خالد المنيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثامن.

[29] حمداوي، جميل. (2015). محاضرات في لسانيات النص، مكتبة المثقف، الطبعة الأولى.

[30] الخطابي، أبو سليمان بن إبراهيم. البيان في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف. الطبعة الثالثة.

[31] خطابي، محمد. (1991). لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب، المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

[32] الخطيب، عبد الله. ومسلم، مصطفى. (2005). المناسبة وأثرها في تفسير القرآن، الشارقة،

مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الثاني، العدد الثاني.

[33] الداية، رائد مصباح. (2011). البناءات الجمالية في النص القرآني، **(رسالة ماجستير)**، الجامعة الإسلامية غزة.

[34] دي بوجراند، روبرت، ترجمة: حسان، تمام. (1998). النص والخطاب والإجراء، القاهرة، عالم الكتب.

[35] ديك، فان. ترجمة وتعليق: بحيري، سعيد. (2005). علم النص – مدخل متداخل الاختصاصات، مصر، دار القاهرة، الطبعة الثانية.

[36] ديك، فان، ترجمة: قنيني، عبد القادر. (2000). النص والسياق استقصاء البحث التداولي، المغرب، أفريقيا الشرق.

[37] الرازي، أحمد بن فارس. (1979). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

[38] الزَّبيدي، محمّد. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

[39] الزركشي، بدر الدين محمد. (1957). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى.

[40] الزمخشري، محمود. (1407). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.

[41] الزمخشري، محمود. (1998). أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

[42] الزمخشري، محمود. الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، الطبعة الثالثة.

[43] السكاكي، يوسف. (1987). مفتاح العلوم، لبنان– بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

[44] سيف السيف، ناصر. (1427). مختصر البيان في توضيح منهج تفسير أضواء البيان، السعودية، دار ابن خزيمة.

[45] السيوطي، جلال الدين. (ت: 911هـ). الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.

[46] الشاوش، محمد. (2001). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس.

[47] الشنقيطي، محمد الأمين (ت:1393هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: أبي حفص عمر المكاوي، وأبي عثمان محمد بن رمضان، القاهرة، المكتبة التوفيقية.

[48] صالح، محمد سالم. أصول النظرية السياقية عند علماء العرب، جدة، كلية المعلمين، جامعة الملك عبد العزيز، طبعة الكترونية *htt: //shamela.ws/*.

[49] الصبيحي، محمد الأخضر. (2008). مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الجزائر، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى.

[50] صحراوي، مسعود. منهج السياق في فهم النص، بحث *htt: //shamela.ws/*.

[51] الطبري، محمد بن جرير. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

[52] عبد الحميد، جميل. (1989) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[53] عبد الرضي، أحمد محمد. (2008). نحو النص، بين الأصالة والحداثة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.

[54] عبد اللطيف، محمد حماسة. (1993). بناء الجملة العربية، القاهرة، دار الشروق.

[55] العبد، طرفة. (1961). ديوان، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار صادر.

[56] العبد، محمد. (1989). اللغة والإبداع الأدبي، القاهرة، الطبعة الأولى.

[57] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (2007). الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.

[58] عفيفي، أحمد. (2001). نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مصر– القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

[59] عمر، أحمد مختار. (1998). علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة الخامسة،

[60] فاخر، أمين محمد. (1991). ابن فارس اللغوي منهجه وأثره في الدراسات اللغوية، إدارة الثقافة والنشر لجامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

[61] الفراهيدي، الخليل. العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

[62] فضل، صلاح. (1992). بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت– سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، العدد 164.

[63] الفقي، صبحي إبراهيم. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء للنشر.

[64] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2005). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة.

[65] القرطبي، أبو عبد الله محمد. (1964)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية.

[66] القطان، مناع. (2000). مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة.

[67] حمداوي، جميل. لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، شبكة الألوكة (www.alukah.net)

[68] محمد، عزة شبل. (2007). علم لغة النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.

[69] مفتاح، محمد. (1990). دينامية النص (تنظير وإنجاز) المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الثانية.

[70] المقدسي، عبد الله بن بَرّي. (1990). مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني، تحقيق: حاتم صالح الضامن، العراق، الناشر: فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الأول، المجلد الحادي والأربعون.

[71] المنجد، محمد نور الدين. (1999). الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى.

[72] الموسى، خليل. (2000). قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، سوريا، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

[73] موسى، هارون. (2002). الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم الضامن، الأردن، دار البشير.

[74] الميساوي، خليفة. (2013). مصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، الرباط، دار الأمان، الطبعة الأولى.

[75] النجار، نادية. (2003). علم لغة النص والأسلوب.

[76] مصلوح، سعد. (1991). نحو أجرومية للنص الشعري؛ دراسة في قصيدة جاهلية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني.

[77] فرج، حسام أحمد. (2007). نظرية علم النص، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.

[78] النيسابوري، مسلم. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

[79] هاينه من، وديتر فيهفجر، ترجمة: بحيري، سعيد (2004). مدخل إلى علم لغة النص، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى.

[80] وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. (من 1404 – 1427 هـ). الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءا. الأجزاء 1 – 23: الطبعة الثانية، دار السلاسل، الأجزاء 24 – 38: الطبعة الأولى، مصر، مطابع دار الصفوة – الأجزاء 39 – 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

[81] يول، جورج (2000). معرفة اللغة، ترجمة: محمود فراج عبد الحافظ، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.